بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لله وإنا إليه راجعون

الكاتب والمؤلف محمد منير ادلبي في ذمة الله،

نرجوا الدعاء له بالمغفره والرحمة

سلسلة كتب "الإسلام الذي يجهلون"

توزَّع هذه السلسلة بصيغة PDF إلكترونيًا فقط كصدقة جارية عن روح الكاتب محمد منير إدلبي وعائلته.

هذه الكتب ليست مخصصة للطباعة أو البيع، وأي جهة أو دار نشر ترغب في نشرها أو طباعتها
يجب أن تحصل على موافقة خطية موقعة من أبناء الكاتب محمد منير إدلبي.

للتواصل
Info@muniridilbi.com
www.muniridilbi.com

سلسلة: الإسلام الذي يجهلون 7

ملائكة الله

حقيقتهم . .مهامّهم . . الغاية من وجودهم

محمد منير إدلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء ..

إلى الأرواح الطاهرة الذين لا يعصون الله ما أمرهم

ويفعلون ما يؤمرون.

جميع حقوق النشر والطباعة محفوظة © محمد منير ادلبي وأولاده

كل الحقوق محفوظة. لا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور. تخزينها في نظام استرجاع، أو نقلها، بأي شكل أو بأي وسيلة، إلكترونية أو ميكانيكية أو تصوير أو تسجيل أو غير ذلك، دون إذن كتابي مسبق من المؤلف أو أولاده.

All Copyrights © MHD Munir Idilbi & Sons

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced. stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the written prior permission of the author or his sons.
www.muniridilbi.com

All publications by Munir Idilbi are exclusively authorized and protected under copyright laws for distribution and publication by Idilbi Publishing and Trading.
www.idilbi.com

"جميع منشورات منير ادلبي مُصرح بها حصريًا ومحمية بموجب قوانين حقوق النشر للتوزيع والنشر بواسطة دار ادلبي للنشر والتجارة".

ISBN: 978-1-953525-10-9

تمهيد . .

عندما أَخبرتُ ابني مراد أنني عازم على تصنيف كتاب يتحدث عن (**ملائكة الله .. حقيقتهم .. مهامّهم .. ضرورة وجودهم .. والغاية من خلقهم**) تَحمّسَ للفكرة وقال: 'لابدّ في هذا السياق من تذكير الناس أنهم يتحدثون عن الجنّ والشياطين كثيراً، في حين أنّهم لا يذكرون الملائكة إلّا قليلًا، وقد كان الأولى بهم أن ينتبهوا إلى أهميّة ذِكر الملائكة وضرورة التفكّر بحقيقتهم وتبيّنها والتحديث بها، باعتبار أنّ الإيمان بوجود الملائكة هو ركن من أركان الإيمان، أمّا وجود الجن والشياطين—رغم أنه مذكور في القرآن الكريم—إلاّ أنه ليس ركناً من أركان الإيمان. فكيف يصحّ الانشغال بما ليس هو من أركان الإيمان، وإهمالُ الحديث عمّا هو من أركانه؟'

ذلك تقصير وخطأ واضح في المسلمين، وواقع ملموس لابدّ من تداركه. إذ لابدّ لكلّ مسلم من أن يسعى إلى دراسة بحث الملائكة والتفكّر في حقيقتهم وضرورة وجودهم والغاية من خلقهم.

ويعلم الدّارسون أنّ القرآن الكريم، وأحاديث سيّدنا خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلّم، وبيان الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وما بيّنه خلفاؤه الكرام هي خير المصادر وأصدقها لتَبَيُّن حقيقة الملائكة التي نسعى بعون الله تعالى إلى تبيّنها وفهمها. ولذلك فقد شمّرتُ وسعيت بعون الله تعالى، إلى التبيّن والبيان فيما يتعلق بهذا البحث من هذه المصادر الموثوقة راجيًا من الله العليم الخبير، أن يرزقني بعونه وفضله ورحمته التّمكّن من تقديم البيان المفيد كما يريد لنا هو عزّ اسمه أن نفهمه ونصدّقه ونؤمن به. هذا ولسوف يتبيّن للقارئ الكريم، بعون الله تعالى، أنّ الإيمان بوجود الملائكة وفهْم مهامّهم وضرورة وجودهم من شأنه أن يوسّع أفاقَ توحيدنا لله ربنا عزّ وجلّ ويُزيد إيمانَنا بقدرته تبارك وتعالى. كما أنّه يساعدنا على تحقيق الشعور بالطمئنينة والسكينة ويُنبّهنا إلى حقيقة وجود الملائكة وصحبتهم لنا في كلّ مكان، يحفظوننا—بأمر ربّنا—ويحفظون لنا كلّ ما فيه خيرنا ويعينوننا على تحقيقه والانتفاع به.

وبما أنّ وجود الملائكة وحقيقتهم هو أمر يتعلّق بالإيمان بالغيب عموماً، فإنّ هذا الكتاب يُعَدّ في أغلبه **تصنيفاً وتبويباً**، من المصادر التي ذكرتُها آنفاً، لإيصال البيان الممكن إلى القارئ الكريم بشكل مفيد ومُريح. ولابدّ في هذا المقام من التّنبيه إلى أنّ العناوين الجزئية في هذا المصنّف هي من مؤلّف هذا الكتاب.

وأمّا فيما أُخذ وتمّ تصنيفُه وعَرضُه، في هذا الكتاب من —**بيان المسيح**

الموعود عليه السلام—فهو من كتبه الشهيرة: (**فتح اللاسلام**) و(**توضيح المرام**) و (**إزالة أوهام**) و (**مرآة كمالات الإسلام**). وهو ما قمتُ ببيانه في **الجزء الثالث** من هذا الكتاب. ولا شكّ في أنني قد استفدتُ من بعض الاقتباس مما جاء في مقالة المصلح الموعود بشير الدين محمود أحمد، رضي الله عنه، عن الملائكة.

أَدعو الله تعالى أن يُبارك هذا البيان وينفع به المسلمين وغيرهم ممّن يهتمون بالبحث لتفهّم حقائق آلاء الله، من خلال الاهتمام بفهم أركان الإيمان كاملة—كما بيّنها لنا ديننُا الحنيف. وما توفيقي إلّا بالله ..

وعلى الله قصد السبيل ..

والحمد لله ربّ العالمين

الجزء الأوّل

ملائكة الله في القرآن الكريم

* الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان

يُبيّن لنا ربُنا تبارك وتعالى في القرآن الكريم أنّ الإيمان بوجود الملائكة هو رُكن من أركان الإيمان الذي يجعل العبدَ بارّاً أمام الله تعالى، فيقول:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة 177)

وهذا مصداق بيان أركان الإيمان الذي ورد في الحديث الشريف في صحيح مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عمر رضي الله عنه، حيث يقول:

(الإيمانُ: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره).

نلاحظ هنا أنّ الإيمان بالملائكة يأتي في المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله، وقبل الإيمان بالكتب والرسل.

* الملائكة رُسُل الله، يصطفيهم ويزوّدهم بقوى وقدرات

يقول تعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فاطر 2). ويقول تعالى:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج 75)

تخبرنا هذه الآيات الكريمة أنّ الله الذي فطر السماوات والأرض بحسب نظام إلهي محكم قد خَلق ملائكةً وجعلهم رسلاً وزوّدهم بقوى وقدرات متعدّدة ومختلفة، بحسب ما يلزمهم، للقيام بمهامهم الموكلة إليهم، ويزيد ما يشاء بمقتضى قوته وقدرته وحكمته وعلمه، فهو عزّ وجل على كل شيء قدير.

طبعاً ليس المقصود بأجنحة الملائكة الأجنحة العادية التي تضرب الهواء وتُستعمل للطيران مثلما تفعل الطيور؛ وذلك لأنّ الملائكة ليست مخلوقات مادّية تنطبق عليها القوانين المادية التي تنطبق على البشر كقانون الجاذبية وغيره. فلو كان الأمر كذلك فماذا يفعل الملائكة في منطقة انعدام الوزن في الفضاء الخارجي حيث لا يوجد هواء؟ هل تحبسهم تلك المنطقة فيبقون وراءها ولا يستطيعون النزول إلى الأرض؟ ولو كان الملائكة يطيرون بأجنحة تضرب الهواء كالطيور لكان هذا يعني أنهم يلزمهم وقتٌ وزمان يطول ويقصر ليقطعوا المسافات القصيرة أو الطويلة لإنجاز مهامّهم في مواضعها. وهذا لا يُمكن تصوّره عن الملائكة، وذلك لضرورة أن يستجيب المَلَك إلى أمر الله فيُنجِزه فوراً دون تأخير أو انتظار، تماماً مثلما يفعل مَلَك الموت الذي يقبض أرواح الألوف من الذين جاء أَجَلُهم من البشر أينما

كانوا في لحظة واحدة. فلو كان الأمر يستلزم الانتقال والطيران مرّة إلى الشرق ومرّة إلى الغرب أو الشمال أو الجنوب لما استطاع قبضَ الأرواح في الأماكن المختلفة لحظة يحين أجلها، بل قد يضطر إلى أن يتأخر أو يأتي قبل الموعد وذلك بحسب شروط الطريق والمسافة التي يضطر إلى قطعها. ثم لو كان الملائكة يطيرون بأجنحة، فإننا نفهم أن يطير الملَك بجناحين أو أربعة، ولكن كيف يطير **بثلاثة** أجنحة؟ ألا تقول الآية ﴿**أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾؟

في التفسير الصغير من بيان المصلح الموعود عليه السلام، نقرأ ما يلي:

"قد أَوكل اللهُ تعالى إلى الملائكة مسؤوليةَ ضبط وإدارة والإشراف على شؤون العالم المادّي، وذلك نفهمه من قوله عز وجل ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾ (النازعات 5). وهذه إحدى المهمات والمسؤوليات الملقاة على عاتقهم. فهم يدبّرون أمور الخلق، كلّ الخلق.

مهمتهم الأخرى والأكثر ثقلاً هي حَمْل أوامر الله ووصاياه وإيصالها إلى رسله. الملائكة التي تحمل الوحي من الله تعالى تُبدي صِفتين، ثلاثة، أو أربعة صفات إلهية في الوقت ذاته، وثمة ملائكة آخرون يُجَلّون عدداً أكبر من هذه الصفات. فالأجنحة في هذه الآية تعني القوة والقدرة[1]، وتبين أنّ الملائكة يملكون قوى وخصائص متفاوتة الدرجات تبعاً لأهمية المهمة

[1] – موسوعة لين

والعمل الموكل لكل واحد منهم، فبعض الملائكة أُعطيتْ قوى وخصائص أكبر من غيرها."

هذا وإنّ كلمة ﴿**يَصْطَفِي**﴾ في هذه الآية لا تعني أنّ الله يختار من ضمن مجموعة من الملائكة ملائكةً معينين ثم يرسلهم، بل تعني أنّ ثمة من الملائكة الذين خلقهم الله تعالى واصطفاهم منذ الأزل لمهامّ معينة، فمنهم من هم مكلّفون بأن يكونوا رسلاً منه عزّ وجل يحملون رسالاته لعباده، ولديهم القوة والقدرة على ذلك.

* الملائكة عباد الرحمن ولا جنس لهم

يُبيّن لنا القرآن الكريم أنّ الزعم بأنّ للملائكة جنساً، كأن يكونوا ذكوراً أو إناثاً، إنّما هو زعم باطل، يقول تعالى:

﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ**﴾ (الزخرف 19)

وهذا يعني أنّ الملائكة ليسوا إناثاً، كما أنهم ليسوا ذكوراً، وذلك لأننا إنْ قلنا إنهم ذكوراً لكان هذا يعني في المقابل أنّ منهم إناثاً.

ويبيّن لنا القرآنُ المزيدَ فيقول:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى ***

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ (النجم 27-28). ويقول عزّ اسمه:

﴿ **أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ** ﴾ (الصافات 150)

وهكذا فالملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثاً. هم عباد الرحمن الذين يطيعونه ويعبدونه ويصطفي منهم رسلاً يحملون رسالاته، ويوصلونها إلى من يشاء من عباده من الرسل والأنبياء وغيرهم.

* القوانين المادّية لا تنطبق على الملائكة، وهم لا يمشون على الأرض مطمئنين كما يمشي البشر

تؤدّي غطرسة الكافرين وتكبّرهم بهم إلى رفض جميع رسل الله، ويزعمون بأنه لو أراد الله أن يرسل إليهم رسولاً لأرسل ملائكة وليس بشراً.

يخبرنا القرآن الكريم بحقيقة كفرهم هذا فيقول:

﴿ **إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ (فصلت 14)، ويقول:

﴿ **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ**

يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون 24)، فأكّد اللهُ تبارك وتعالى بأنّ الملائكة لا يمكن أن يكونوا كالأنبياء والرسل البشر، وذلك لأنّ القوانين المادّية لا تنطبق عليهم، ولذلك لا يمكن أن يكونوا أسوة للبشر في تحرّكاتهم وتصرّفاتهم، فقال:

﴿ **قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا** ﴾ (الإسراء 95). فلنلاحظ هنا لفظة ﴿ **لَوْ** ﴾. ولذلك لم يجعل الله في مشيئته أن ينزّل من السماء ملائكة ليكونوا بمثابة الرسل للبشر، فقال:

﴿ **وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ** ﴾ (الزخرف 60)

فالبشر بحاجة إلى أسوة من البشر وليس من مخلوقات ذات طبيعة مختلفة لا يمكن أن تكون أسوة لهم.

* الملائكة تشهد ألاّ إله إلاّ الله

وبيّن القرآن الكريم أنّ الملائكة تشهد، وكذلك يشهد أولوا العلم بأنّه **لا إله إلّا الله**، فيقول:

﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا**

إِلَهَ إِلّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران 18)

قد جعل اللهُ الملائكةَ حَفَظَةً على الكون بكلّ ما فيه—من أصغر ذرّة إلى أكبر مجرّة. وبما أنّه عزّ وجلّ قد جعلهم رسلاً أيضاً، فهذا يعني أنّهم أيضاً يحملون رسائل التوحيد في كلّ ما يعملون، فيجعلون الكون كلّه، في كلّ حركة أو سكنة، برهانَ توحيدٍ وتسبيح وتنزيه لله عزّ وجل—وبذلك تكون شهادتهم لله الواحد، بالإضافة إلى ما ينزلون به من الوحي المتلو على الرسل والأنبياء.

* الملائكة يسبحون وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ

ويبيّن لنا القرآن الكريم أنّ من ضمن المهامّ المكلّف بها الملائكةُ، بفضل الله وبرحمته، هي أنّهم يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون لمن في الأرض. يقول تعالى:

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الشورى 5). ويقول عزّ اسمه:

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾

الرعد هنا يمكن أن يعني **أيضاً** وحي الله بآيات القرآن الكريم التي تُرعِد

بحمد الله عزّ وجل وتسبيحه وتوحيده؛ والملائكة يمكن أن تعني المؤمنين الأتقياء الذين يخافون الله تعالى—والله أعلم.

ويُعرّف الملائكة عن أنفسهم في القرآن الكريم، فيقولون:

﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** ﴾ (الصافات 165-166)

أي أنّ للملائكة مقامات يصطفّون فيها بين يدي الله ولا يبرحونها وهم يسبحون بحمده. وثمّة يوم موعود يقومون فيه صفاً لا يتكلمون إلّا من أذن له الرحمن وقال صواباً، قائمين فيه مع الروح لتنفيذ ما كلّفهم الله به.

في القرآن المجيد نقرأ:

﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا** ﴾ (النبأ 38)

ويمكن لكلمة ﴿ **يوم** ﴾ هنا أن تعني يوم القيامة.

* يَنزل الملائكةُ على الرسل لينذروا بالتوحيد

﴿ **يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ** ﴾ (النحل 2)

أي يكلّف اللهُ الملائكةَ وينزّلهم برسالات الوحي التي يُنزّلها على الرسل

لينذروا العباد بتوحيد الله وتقواه؛ وبهذا يكونون مسبحين أيضاً.

* ينزل الروح الأمين على من يشاء اللهُ من عباده، وعلى قلب الرسول

﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ**﴾ (غافر 15)

الروح، الوحي، أو **جبريل** إنما ينزل بأمر الله على رسله لينذِروا عبادَه يومَ القيامة وليخافوا يوم التلاق، حيث يَلقون الله الذي سوف يسألهم عن إيمانهم بالنذير الذي أَرسله روحاً لهم ليحييهم ويبعثهم من جديد. ويقول تعالى:

﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ (الإسراء 85)

فالروح، بكونه ملاكاً، لا يتنزّل إلّا بأمر ربّه، وهذا مصداقٌ لبيان القرآن الكريم في موضع آخر، حيث الملائكة يقولون:

﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ**﴾ (مريم 64)

إذ لا إرادة لهم من أنفسهم ولا ينزلون لأيّ عمل إلّا عندما يأمرهم الله

لتنفيذ أمر معيّن.

ويبيّن لنا القرآن الكريم حقيقة من حقائق مهمام الروح الأمين، فيقول:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾

(الشعراء 193-194)

لقد نزل الروح الأمين بوحي الله على قلب محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم فصار قلبه وكيانه كلّه مفعماً بنور الوحي الإلهي الذي يُحيي به الرسولُ الخلقَ وينذرهم عقابَ الله وعذابه. وبما أنّ الروح الأمين هو جبريل، كبير الملائكة، فمن ذلك نفهم دَور الملائكة في نزول الوحي على النذير السماوي الذي يحذّر الناس من الكفر بالله.

* الملائكة تتمثّل بشراً تنادي العباد الأتقياء وتحمل لهم رسائل البشرى من الله تعالى

ومن مهام الملائكة أنها تتواصل مع عباد الله الأتقياء وتنقل إليهم البشرى من الله عزّ وجل، يقول ربنا تبارك وتعالى عن عبده زكريا:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ (آل عمران 39)

وكذلك تتمثّل الملائكة بشراً وتنقل رسائل البشرى من الله لعباده

المصطفين. نقرأ في كتاب الله بشارةَ جبريل لمريم عليها السلام:

﴿**فأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا**﴾ (مريم 17-21)

هنا نجد أنّ جبريل عليه السلام قد تمثّل لمريم بشكل البشر وأنّه يُعلن لها أنّه رسول الله إليها ليبشّرها بأنها ستحمل غلاماً زكيّاً، وأنّ الله سيجعله آية للناس ورحمة، وأنّ هذا الأمر مقضيّ من الله عزّ وجلّ، وأنّه لابدّ من تحقّقه.

وكذلك نعلم من القرآن الكريم أنّ الله، عزّ اسمه، قد أَرسل الملائكةَ إلى مريم لتنقل إليها بشارة الله بشكل خاصّ، حيث نقرأ:

﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران 42)

ويُبيّن لنا الله تفاصيل البشرى، فيقول:

﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾

(آل عمران 45)

* يُرسل الله الملائكة حَفَظَةً على البشر وهم لهم حافظون

يُبيّن ربُّنا تبارك وتعالى أنّ ثمّة ملائكة ترافقنا باستمرار وتكون علينا حفظة تحفظنا من أمره. يتحدّث القرآن عن الإنسان فيقول:

﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ (الرعد 11)، ويقول:

﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً** ﴾ (الأنعام 61)

ويُبيّن أنّ هؤلاء الملائكة ليسوا حافظين لنا فحسب، بل هم يكتبون أفعالنا التي يعلمونها، فيقول:

﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾

(الإنفطار 10-12)

* الله يوحي للملائكة لِيُثَبِّتوا المؤمنين ويُلقوا في قلوب الكافرين الرعب

ويُبيّن لنا القرآن الكريم أنّ من أعمال الملائكة أنهم ينفّذون وحيه عزّ وجلّ في تثبيت المؤمنين عند قتالهم للكافرين دفاعاً عن أنفسهم، ويُلقون،

بأمر الله تعالى، الرّعبَ في قلوبهم—قلوب الكافرين، كما أنها تُرشدهم إلى طرق القتال الصحيحة، يقول تعالى:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال 12)

* الملائكة تَدخل على المؤمنين من أبواب الجنة وتُسلّم عليهم

يُبشّر الله الصابرين من عباده المؤمنين، بأنّه سيدخلهم جنّات عدن هم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم، وبأنّ الملائكة سيدخلون عليهم في جنّاتهم وسيحيّونهم تحية طيبة ويبشّرونهم بِنِعْمَ العاقبة، يقول تعالى:

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد 23-24)

وهكذا يُبعد الله المؤمنين عن العذاب فلا يسمعون حَسيسَ جهنّم، بل يكونون خالدين في ما اشتهت أنفسُهم لا يحزنهم الفزع الأكبر في ذلك اليوم، حيث تتلقاهم الملائكة بالبشرى: 'هذا يومكم الذي كنتم توعدون'، فلنقرأ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

(الأنبياء 101-103)

* الملائكة أولياء المؤمنين يُبشّرونهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويهدونهم إلى منازل الإكرام من الله عزّ اسمه

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت 30-32)

* الملائكة تنصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم دائماً

يتحدَّث القرآن الكريم عن محمّد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم فيقول:

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم 4)

* الله يمدّ المؤمنين بالملائكة

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران 124-126)

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال 9-10)

* الملائكة تلعن الكفّار

يقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (البقرة 161)

* الملائكة تأتي مع الله بالعذاب

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (البقرة 210)

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾

(الأنعام 158)

* الملائكة مكلّفون بالنار

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم 6)

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المدثر 31)

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ (الفرقان 25)

* التحذير من عبادة الملائكة

﴿ **وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ (آل عمران 80)

* الملائكة تتوفى الناس

وكذلك الملائكة تتوفّى الناس وتسألهم عن إيمانهم وتأخذهم إلى الجحيم أو النعيم:

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ (النساء 97)

﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ (الأنعام 93)

ويضرب الملائكةُ وجوهَ الكافرين وأدبارَهم ويُذيقونهم عذاب الحريق في نار جهنم:

﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ**

وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال 50)، ويقول: **﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾** (محمد 27)

وأمّا عن توفّي الملائكة للطيبين، يقول تعالى:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل 32) فهم لهم السلام ولهم الجنّة جزاءً بما ما كانوا يعملون:

* عروج الملائكة بعد انتهاء مدّة معينة

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج 4)

تتحدّث هذه الآية عن ترك الملائكة لنظامنا الكوني وعروجهم إلى الله بَعد مدّة من الزمان يمكن تقديرها كما يلي:

اليوم يساوي 1000 سنة عند الله، وذلك لقوله تعالى:

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج 47)، وبناء على ذلك يمكننا حساب المدّة المذكورة في هذه الآية:

365 يوماً X 1000سنة = 365.000 سنة

000.365 سنة X 50.000 سنة = 18.250.000.000 سنة

أي بعد ثماني عشرة ملياراً ومئتين وخمسين مليون سنة (ربما من بداية خلق كوننا المادّي الذي نعيش فيه) سوف تعرج الملائكة، الحافظة لهذا الكون، إلى الله، فينهار بعد أن يفقد قوّته وتماسكه الذي كانت تحفظه الملائكة—والله أعلم بمراده.

* في ليلة القدر تنزّل الملائكة من كل أمر

حين يسود ليل الظلمات فلا يعود للناس من أملٍ في النّور والهدى، يبعثُ اللهُ رسلَه بشريعة النور الإلهي يحملها الملائكة لتُبدّد تلك الظلمة وتهبهم السلام:

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر 3-5)

وكي نفهم معنى تنزّل الملائكة في ليلة القدر، لابدّ أن نُلقي بعض الضوء على جانب من هذه السورة.

نبدأ باستطلاع بعض معاني كلمة ﴿**الْقَدْر**﴾ حيث يمكننا بعد ذلك فهم معنى تنزّل الملائكة بكل أمر.

من بعض معاني كلمة ﴿**القدر**﴾ في اللغة العربية ما يلي: **الاعتبار،**

الأهمية، الاستحقاق، القيمة، المقدار، تحقيق الأمر، غنى، كفاية، احترام، بهاء، رفعة، شرف، عظمة، هيبة، وقار، كرامة، إرادة، أمر، حكم، عهد، قرار، فرض، جلال، رتبة، حظ، مصير، نهاية، استطاعة، بطش، تفويض، تمكّن، جبر، جدارة، جِدّة، جاه، رفعة، سلطة، شوكة، شدّة صلاحية، طاقة، طائل، عنفوان، عزّ، فاعلية، قدرة، قوة، قابلية، منعة، هيمنة، ولاية .. وتُشير كلمة (ليلة) إلى (يوم) أيضاً.

على ضوء المعاني المتقدمّة لكلمة (**القدر**) بالإضافة إلى كلمة (**ليلة**) يمكننا أن نفهم من السورة ما يلي:

ليلة القدر هي الليلة التي أوحى الله فيها القرآن وبُعث فيها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلّم. وهي ليلة تساوي، بل وتزيد من حيث القيمة ومعانيها التّامة جميع الليالي الأخرى، وهي ليلة الغنى والكفاية، حيث يحقق القرآن الذي نزل فيها جميع الحاجات والمتطلبات الروحية والأخلاقية السامية للبشرية جميعاً، كما أنه يحقق—بما أوحى وقدّر —مصيرَ الإنسان، وقد أتمّ بذلك تحديد النموذج المستقبلي للبشرية، وأَسَّس العدالة الإنسانية الصحيحة التي تمّ وضعها لجميع الأجيال ولجميع الأزمنة القادمة.

إنّ وقت ظهور مصلح عظيم أيضاً يُسمّى ليلة القدر، لأنه في ذلك الوقت تكون الآثام والرذائل منتشرة بشكل كبير، وتكون القوى الظلامية مسيطرة.

و﴿ **ليلة القدر** ﴾ يمكن أن تعني أيضاً مدة الـ 23 سنة من عمر الرسول الكريم صلى اللهُ عليه وآله وسلّم، حيث كان يتلقى وحي القرآن الكريم بالتدريج.

بركات ليلة القدر فوق العدّ والحصر وهي أفضل من كل ما سواها. وإنّ زمن رسالة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلّم هو أفضل وأعلى وأسمى من جميع الأزمنة بما لا يعدّ ولا يُحصى.

وأما كلمة ﴿ **الرّوح** ﴾، فبالإضافة إلى جبريل، الذي هو روح القدس وأمين الوحي، فهي يمكن أن تعني روحاً جديدة وصحوة وتحقق.

وهكذا في ليلة القدر تَنَزّل الملائكةُ والروح بكل أمر من الله تعالى لتأييد ودعم ونصر المصلح السماوي في كلّ ما يسعى إليه لتعزيز الحق والحقيقة بما ينشر من الأسس والمعاني السامية. وتقوم الملائكة، بإذن ربّها، بإلهام أتباع الرسل ليعيشوا حياة جديدة وينطلقوا بصحوة جديدة لنشر وإشاعة ونصر الرسالة السماوية، حيث يتنزّل على المؤمنين سلام عقلي وطمأنينة حتى في أشدّ أوقات الصعوبات والافتقار، وذلك لأنهم يستلهمون، بواسطة الرسالة وملائكة الله، السعادةَ السماوية التي تتجاوز جميع اللذائذ والمباهج المادية، حتى مطلع الفجر الذي يعني ذهابَ ليل الضلال والمعاناة والبؤس والشقاء؛ وبزوغَ فجر هيمنة السلام والطمأنينة الحقيقية والعدل والأمن.

ونتعلّم من بيان المسيح الموعود عليه السلام في كتابه حقيقة الوحي أنّه حينما يأتي نبي أو رسول بأمر من السماء ينزل ببركته نور من السماء بحسب قدرات الناس ويُلاحَظ انتشار الروحانية. والذين لديهم القدرة على الإلهام يتلقّون الإلهام، وتُشحذ العقول في أمور الروحانية. وكما تستفيد كل قطعة أرض إلى حدّ ما من نزول المطر، كذلك تماماً يحدث عندما يحلّ فصل الربيع لدى بعثة الرسول. فيكون الرسول هو السبب لكافة البركات. وكل ما يتلقّى الناس من رؤى أو إلهامات فإنّ الرسول هو السبب الحقيقي وراء فتح أبوابها عليهم، لأنه بمجيئه يحدث التغيّر في الدنيا وينزل من السماء نور عام يستفيد منه كل شخص حسب قدرته، ويصير هذا النور السماوي سبب الرؤى والإلهام. والحق أنّ ذلك الينبوع من الإلهام والرؤى يفجَّر للدنيا ببركة ذلك النبي، ويكون زمنه زمن **ليلة القدر** التي تنزل فيها الملائكة كما يقول تعالى:

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ وهذه سنّة الله منذ أن خلق الدنيا[1].

وهكذا فإنّ عصر كل مصلح عظيم الشأن يكون زمن ليلة القدر التي تَنَزّل الملائكة فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر، مُكلَّفة بتحقيق القدر الكامل والتّام الذي يُنعِم به الله على رسوله الكريم ليبثّه وينشره روحاً جديدة

[1] – انظر حاشية كتاب (حقيقة الوحي) للمسيح الموعود عليه السلام ص 72 – 73

للبشرية جميعاً في العالم كلّه، حيثُ تُخلق سماء جديدة وأرض جديدة ليتمّ القبول المبارَك كما يريده الله تبارك وتعالى.

* عمل الملائكة في ما سخّر الله لنا

يتبيّن لنا من بيان القرآن الكريم عملُ الملائكة في الأرض والسماء والعوالم بحسب إرادة الله عزّ وجل، فهم المكلّفون بإقامة ما أراد الله أن يُقيمه، وتدمير ما أراد الله أن يُدمّره ويفنيه، يقول تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة

فالملائكة يضبطون اختلاف الليل والنهار ويُسيّرون الفلك في البحر لنفع الناس وهم يُصرّفون الرياح ويوزّعون السحاب المسخّر بين السماء والأرض لإنزال الماء وإحياء الأرض. ويقول تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ

النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد 2-3)

يمكننا من خلال هذه الآيات الكريمة أن نستطلع بعض أعمال الملائكة الذين ينفّذون ما يأمرهم الله به باعتبارهم حفظة الكون بما فيه من مخلوقات في الأرض والسماء. فالملائكة يرفعون، بأمر الله، السماء ويُسخّرون الشّمس والقمر، وينفّذون أمر الله، ويحفظون الأرض، ويدعمون رواسيها، ويُجرون أنهارَها، ويُنضِجون ثمارَها، ويضبطون حركاتها، ويحفظون دورة ليلها ونهارها واختلاف فصولها، ونقرأ:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم 32-34)، وقال:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحج 65)

فالملائكة بما آتاهم الله من علم وقدرة يُفعّلون كلّ ما سخّر للبشر ويحفظون الناس والكون، ويمسكون السماء أن تقع على الأرض إلى أن

يأذنَ أمراً آخر.

* الملائكة تخسف الأرض وتأتي بالعذاب

ولا يقتصر عمل الملائكة على أنّها تحفظ النفوس والسماء والأرض وكلّ شيء، بل هي أيضاً تخسف وتُدمّر وتُعذّب بأمر ربها، يقول تعالى:

﴿**أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ (النحل 45)

ويقول:

﴿**أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ**﴾ (الإسراء 68-69)

ويقول:

﴿**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ**﴾ (الملك 16-17)

ويقول:

﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾

(الفرقان 36)

وبما أنّ الله يأمر الملائكة أن تُنفّذ مشيئته فهي تقوم بتنفيذ كلّ ما يشاء بأمره عزّ وجلّ. وهكذا فهي، بالإضافة إلى أنّها تحفظ بأمر الله، فإنها أيضاً تخسف وتُدمّر وتُعذّب بأمره—نرجوا الله العافية.

الجزء الثاني

الملائكة في بيان الحديث الشريف

وردَ ذِكرُ الملائكة في أحاديث كثيرة عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم تُلقي الضوء على ملامح تتميّز بها الملائكة فتجعلنا نفهم حقائق من شأنها أن توسّع دائرة إيماننا وتعزّز فهمَنا وتوحيدنا لله ربّنا.

في الجزء الأوّل تناولنا البيان المتعلّق بمفهوم الملائكة وأعمالها وخصائصها. وسآتي في هذا الفصل على ذِكر الأحاديث التي ذكرت الملائكة كما وردت في نصوصها دون الانشغال بذكر مصادرها ومراجعها، إذ يمكن للباحث الحصول على المراجع المطلوبة من كتب الحديث ومن برنامج المحدّث الذي يذكر جميع المصادر والمراجع بالتفصيل الكامل.

وبعون الله أتابع.

* ثمّة من الملائكة من يطلبون حِلَقَ الذّكر ويحفّون بها

ورد عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال:

عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: (**إذا مَرَرْتُمْ بِرِياضِ الجَنَّةِ فارْتَعُوا. قالُوا: وَمَا رِياضُ الجَنَّةِ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ، فإنَّ للهِ تعالى سَيَّارَاتٍ مِنَ المَلائِكَةِ يَطْلُبُونَ حِلَقَ الذِّكْرِ، فإذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ**).

وقال:

(لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُون الله تَعالى إلّا حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَليهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعالى فِيمَنْ عِنْدَهُ).

* من الملائكة من يؤمّن عند الدعاء

وقال: **(إذَا أَمَّن الإِمامُ فأمِّنوا، فإن الملائكة تؤمِّنُ ..)**؛ أي تقول: "آمين".

* الملائكة تُصلّي على من يقرأ القرآن

عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(من ختم القرآن أيّة ساعة كانت من النهار صَلّتْ عليه الملائكةُ حتى يُمسي، وأية ساعة كانت من الليل صَلَّت عليه الملائكةُ حتى يُصبح."**

* الملائكة تُقاتل مع المؤمنين وتصرع الرجال

عن أنس رضي الله عنه قال: **(كنا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في غزوةٍ فلقيَ العدوَّ، فسمعته يقول: "يا مالِكَ يَوْمِ الدّينِ إيَّاك أَعْبُدُ وإيَّاكَ أَسْتَعِينُ" فلقد رأيتُ الرجالَ تُصرع، تضربُها الملائكةُ من بين أيديها ومن خلفها.)**

* دعاء المريض كدعاء الملائكة

عن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذَا دَخَلْتَ على مَرِيضٍ فَمُرْهُ فَلْيَدْعُ لَكَ، فإنَّ دُعَاءَهُ كَدُعاءِ المَلائِكَةِ..)**

* الملائكة تُؤمّن على دعاء الدّاعي

عن أم سلمة رضي الله عنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **(لا تَدْعُوا على أنْفُسكُمْ إلّا بِخَيْرٍ، فإنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ على ما تَقُولُونَ..)**

* الملائكة يُصلّون على الناس

وعن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال: **(أفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وأكَلَ طَعَامَكُمُ الأبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلائِكَةُ..)**

* الملائكة تُحب وتُبغض بأمر الله

وعن أنس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: **(إذا أَحبّ الله عبداً قذف حُبَّه في قلوب الملائكة، وإذا أبغض الله عبدًا قَذف**

بُغضَه في قلوب الملائكة ثم يقذفه في قلوب الآدميين.)

* الملائكة تدعو للعاطس

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال: (**إذا عطس أحدُكم فقال "الحمد لله" قالت الملائكة "ربّ العالمين "فإذا قال "ربّ العالمين" قالت الملائكة "رحمك الله"..**)

* الملائكة تسأل الميّت عمّا قدّم

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال: (**إذا مات الميت تقول الملائكة: "ما قَدّم؟" وتقول الناس: "ما خَلَّف؟"**)

* الملائكة تُيَسّر السّبيل لطالب العلم

عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:(**اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، إنّ الملائكة تَضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يطلب.**)

* لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صُوَر

عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: (**إنّ البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**).

ولا شكّ في أنّ الصور المقصودة هنا هي المنحوتات والصور التي تُعبد من دون الله. والمقصود أنّ البيوت أو دور العبادة والكنائس التي فيها هذه الصور التي تُقدَّس وتُعبد من دون الله تخلو من هداية الله والملائكة وبركاتها. وليس المقصود الصور العادية التي ليس فيها شبهة وثنية أو تأليه.

* الملائكة ترافق الحُجّاج وتصحبهم

عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(إنّ الملائكة لتصافح ركابَ الحجاج وتعتنق المشاة.)

وهذا كناية عن رضا الله عن حجاج بيته الحرام.

* الملائكة تفرح بذهاب العناء والشّدة عن الفقراء

عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: **(إن الملائكة لتفرح بذهاب الشتاء، رحمة لما يدخل على فقراء المسلمين فيه من الشدة.)**

وهذا يعني أنّ من ملائكة الله من يُعنى بنزول رحمة الله على عباده، وتكره لهم المعاناة.

* حضور الملائكة جنازة الكافر لا يكون خيراً له

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(إنّ الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ..)

أي أنّ الكافر يُحرم من دعاء الملائكة له بالرحمة. بل ربما تَتهيّأ لنزوله القبر لينال قسطه من العذاب عند السؤال.

* الملائكة تصلي على صاحب المائدة

عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(إنّ الملائكة لا تزال تصلي على أحدكم ما دامت مائدتُه موضوعة.)

يعني أنّ تدعو لمن يُضيف الناس ويُطعمهم طالما أنّه يفعل ذلك.

* الملائكة تُصلّي على المقرّبين من المؤمنين

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم: أنّ **(الملائكة صلّت على آدم فكبرت عليه أربعا.)**

* الملائكة شهداء الله في السماء

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(أنتم شهداء الله في الأرض، والملائكة شهداء الله في السماء.)

أي الذين يشهدون بالتوحيد في الأرض يدعون الناس للإيمان يكونون كالملائكة التي تشهد لله بصفاته الكاملة وتسبحه وتعبده وتُوحّده.

* جبريل أفضل الملائكة

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(ألا أخبركم بأفضل الملائكة؟ جبريل ..)

* تشهد الملائكة على روّاد المساجد وتتفقّد المصلين

عن أبي أمامة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم، قال:

(تقعد الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة، فيكتبون الأول والثاني والثالث، حتى إذا خرج الإمام رُفِعت الصحف ..)

عن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال:

(عَجبت لملكين من الملائكة نزلا إلى الأرض يلتمسان عبدا في مُصَلّاه..)

* الملائكة تجتنب أُناساً معيّنين

البزّار عن بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال:

(ثلاثة لا تقربهم الملائكة: السكران، والمتضمخ بالزعفران، والحائض والجنب..)

أي أنّ الملائكة تُحبّ الطهارة والمتطهرين والطّيّب، ولكنها تكره المبالغة في الأمور.

* خَلق الله الحورَ العين من تسبيح الملائكة

مردويه عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال: **(الحور العين خُلقن من تسبيح الملائكة..)**

وهذا تشبيه للذكر الإلهي بالحور العين أي بالجمال البَهيّ.

* الملائكة خُلقت من نور

عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال:

(خُلِقَت الملائكةُ من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم ..)

أي أنّ كلّ ما هو نور ويتّصف بالهداية النورانية يكون له صلة بالملائكة وأنوارها.

* الملائكة تستحي من الأتقياء

عن علي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال:

(رحم الله عثمان: تستحييه الملائكة ..)

* الملائكة لا تحب جلجلة النواقيس

عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال:

(الركب الذي معهم الجلجل لا تصحبهم الملائكة لأنه يشبه الناقوس..)

أي أن ثمة من الأصوات ما تكرهه الملائكة، ومنها صوت الأجراس إذ هي مجرّد ضجيج، وليس فيها ذِكر.

* الملائكة يقْفون بين يديّ ربّهم صفّاً

عن جابر بن سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

(ألا تصفّون كما تصفّ الملائكة عند ربها؟ قلنا: وكيف تصف عند ربها؟ قال: يُتِمّون الصفوف، الأوّل، ويتراصون في الصف ..)

أي كونوا كالملائكة التي تقف بين يدي الله بخشوع تعبده صافةّ دون

اختلاف تنتظر أوامره لِتُنفّذها طائعة تماماً كما يأمرها بها.

* تُصلّي الملائكةُ على الجالس في مُصَلاّه

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال عن الجالس في مصلاّه:

(.. وتصلي الملائكة عليه ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه، يقولون: "اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم تب عليه"، ما لم يؤذ فيه أو يحدث.)

* طعام الملائكة التسبيح والتقديس

عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال:

(طعام المؤمنين في زمن الدجال طعام الملائكة: التسبيح والتقديس، فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس أذهب الله عنه الجوع ..)

أي أنّ من شأن الذّكْر والتقديس والتسبيح أن يُشبع روح العابد الباحث عن قرب الله، ويروي غليلَ الظامئ إلى معرفة الله والتقرّب منه. وأنّ الله يرزق بالذّكر والدّعاء عبادَه الذّاكرين.

* الملائكة تُحبّ السواك

عن أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(عليكم بالسّواك، فنعم الشيء السواك: يذهب بالحفر وينزع البلغم، ويجلو البصر، ويشد اللثة، ويذهب بالبخر، ويصلح المعدة، ويزيد في درجات الجنة، ويحمد الملائكة، ويرضي الرب، ويسخط الشيطان ..)

وهذا بيان بحب رسول الله أن يكون أفراد أمّته طيّبي الأفواه والروائح، جميلي المنظر، أصحّاء، يجذبون الناس والملائكة بطيب أفواههم بما يقولون من كلام جميل وُحُسن يرضي الرّب عزّ وجلّ، ويطرد الشياطين.

* الملائكة تصفّ للعبادة

عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال: **(فُضِّلتُ بأربع: جُعلت أنا وأمتي في الصلاة كما تصف الملائكة، وجُعل الصعيد لي وضوءًا وجُعلتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا، وأُحلَّتْ لي الغنائم ..)**

* الملائكة تكره الروائح الخبيثة

وعن أنس واصفاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، قال:

(كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث، من أجل أنّ الملائكة تأتيه، وأنه يكلم جبريل..)

* الملائكة تحفّ بالمصلّي

عن الحسن، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(للمصلي ثلاث خصال: يتناثر البرّ من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وتحف به الملائكة من لدن قدميه إلى عنان السماء، وينادية مناد: لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل".)

* مصافحة الملائكة

وعن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال:

(لو أنّكم تكونون على كلّ حالٍ على الحالة التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفّهم ولزارتكم في بيوتكم ..)

أي أنّ الملائكة تنزل على من يلتمس الذّكر والصفاء وسبل النور والهدى والصلاح والتقى وتلزمه وتهديه وتُبارك سعيه وتأخذ بيده.

* تشهد الملائكة اللهو المفيد

عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(ما تشهد الملائكة من لهوكم إلّا الرهان والنضال ..)

* الملائكة تلعن من يدعو أحداً بغير اسمه

وعن عمير بن سعد أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال:

(من دعا رجلا بغير اسمه لعنته الملائكة ..)

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ**﴾ (الحجرات 11)

* الملائكة تسأل الميت في القبر

وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم يذكر فيه سؤال الميت في القبر، قال:

(.. فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ..) في الجامع الصغير عن البراء

* الملائكة تنزل مع سور القرآن

عن جابر قال: "لما نزلت سورة الأنعام، سبَّح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ثم قال":

(لقد شَيّع هذه السورة من الملائكة ما سدّ الأُفق.)

وهذا يعني أنّ الملائكة تُكلَّف بتنفيذ أمر الله في ما يُنَزِّل من وحيه حتى يتحقق ما يريد. فالملائكة تحفظ الوحي وترصده وتوصله إلى غايته.

* الملائكة تمشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم:

(لا تمشوا بين يديّ، ولا خلفي، فإنّ هذا مقام الملائكة.)

فالرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لا يمشي إلّا بهداية من الله عزّ اسمه، حيث أنّ الملائكة تُمهّد له وتُنير له السبيل من بين يديه، وتحفظه وتحميه وتؤيّده من خلفه.

* أحجام الملائكة هائلة كالأرض والكواكب والسماء

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه

قال:

(أتاني مَلَك برسالة من الله عز وجل، ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء والأخرى في الأرض لمْ يرفعها)

وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(أُذن لي أن أُحدّث عن مَلَك من ملائكة الله تعالى من حَمَلة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة) السيوطي: صحيح

وفي الجامع الصغير عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، قال:

(إنّ لله تعالى ملَكاً لو قيل له التقمْ السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل؛ تسبيحه: "سبحانك حيث كنت") حديث حسن

وجاء في حديثٍ في الجامع الصغير عن سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يقول فيه:

(رأيتُ جبريل له ستمائة جناح) تصحيح السيوطي: صحيح

أي في صورته الحقيقية.

تُعطي هذه الأحاديث تصوّراً عمّا يمكن أن يكون للملَك من قدرة على الأحجام والمسافات. فإذا كانت المسافة بين شحمة أُذُن هذا الملَك إلى عاتقه مسيرة **سبعمئة سنة**، فماذا عساه يكون طوله وعرضه؟

وكيف سيبدو حجم الأرض بالنسبة إليه أكثر من حَلَقة في أُذُنه؟ وكم هو حجم جبريل حتى يكون له ستمائة جناحًا؟

* ستون ألف ملك يصلّون على من يختم القرآن

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

(إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك..)

* الملائكة صافّون في السماء ساجدون مسبحون وحامدون

ابن مردويه عن أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(أطّت السماء، وحق لها أن تئطّ، والذي نفس محمد بيده ما فيها موضع شبر إلّا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله ويحمده ..)

يعني أنّ الملائكة لا تترك مقامات التعبّد الخاصّة بها، وهي تُنفّذ ما يكلّفها الله بتنفيذه دون أن تُغادر مقاماتها بين يدي الله عزّ وجلّ.

عن أبي ذر: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾ حتى ختمها، ثم قال:

(إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أُطَّت السماء وحُقَّ لها

أن تئط، ما فيها موضع قدر أربع أصابع، إلّا ملك واضع جبهته ساجدا لله.)

* الملائكة نزلت بالحجر الأسود من السماء

وروى الأزرقي عن أُبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(الحجر الأسود نزل به ملك من السماء)

ثمّة من الروايات ما يقول أنّ الحجر الأسود من بعض النيازك التي اخترقت غلاف الأرض وهبطت على سطحها، وفي هذا كناية عن قداسة الكعبة وأنّ بناءها وجَعْل البيت الحرام مثابةً للناس وأمناً هو من أمر الله. كما يعني أنّ الكعبة محميّة من الله عزّ وجلّ.

* الرّعد مَلَك موكل بالسحاب

عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(الرعد ملَك من ملائكة الله موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله ..)

فكما أنّ الملائكة مكلفين بسوق السحاب وهم حفظةٌ على الماء النازل من السماء، فكذلك هم حفظة على ماء الوحي النازل من الله على البشر، بالإضافة إلى كونهم حفظة على الكون كلّه بأمر الله عزّ وجل.

نذكر هنا ملَك الجبال الذي عرض على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يطبق الأخشبين "الجبلين" على الكفّار الذين آذوه لو أراد. وهذا يعني أنّ ثمة ملك موكل بالسحاب، وآخر بالجبال، وآخر بالهواء، وآخر بالبحار، وغيره بالأنهار، وهكذا.. وهم جنود الله الذين لا يعلمهم إلّا هو.

* الذي يزور في الله تشيّعه ألوف الملائكة

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(زُرْ في الله، فإنّه من زار في الله شَيَّعه سبعون ألف ملك.)

ولا شك في أنّ الملائكة تكون مصاحبة لمن تُشيّعه؛ وتدعو له.

* لا تفعل الملائكة شيئاً إلاّ بإذن الله

عن عبد الرحمن بن غنم عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال:

(سَلّم علي مَلَك ثم قال لي: لم أزل أستأذن ربي عزّ وجلّ في لقائك حتى كان هذا أوان أذن لي، وإني أبشرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك ..)

* الملائكة تستغفر للطاهرين المتطهّرين

عن بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(طَهّروا هذه الأجساد طَهّرَكم الله؛ فإنّه ليس عبد يبيت طاهراً إلّا بات معه ملَك في شعاره لا ينقلب ساعة من الليل إلّا قال: اللهم اغفر لعبدك، فإنه بات طاهراً ..)

وفي هذا الحديث أيضاً الحثّ على الطهارة الروحية والجسدية في كلّ شيء وكلّ أمر.

* الملائكة توقّر الصالحين والأتقياء

عن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(ما في السماء ملَك إلّا وهو يوقّر عُمَر، ولا في الأرض شيطان إلّا وهو يفرَق من عمر..)

وكذلك توقّر الملائكة كلّ مؤمن صادق طاهر ومخلِص.

* حكمة البشر في أيدي الملائكة

عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال:

(ما من آدميّ إلّا في رأسه حكمة بيد ملَك، فإذا تواضع قيل للملَك: ارفع حكمتَه، وإذا تكبّر قيل للملَك: ضع حكمتَه ..)

يعني أنّ الملائكة ترفع وتضع بأمر الله تعالى، وأنّ حكمة الإنسان ترفعه أو تضعه، ومعيار ذلك التواضع أو التّكبّر.

* الملائكة تردف الذاكرين في رَكْبهم

عن عقبة بن عامر، عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنّه قال:

(ما من راكب يخلو في مسيره بالله وذِكْره إلّا ردفه ملك، ولا يخلو بشِعر ونحوه إلّا كان ردفه شيطان..)

أي أنّ الملائكة تحفظ المسافر الذّاكر وتكون رديفة له بأمر الله تعالى.

* ألوف الملائكة تستغفر لمن يعود المريض

في المستدرك عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أنه قال:

(ما من رجل يعود مريضاً ممسياً إلّا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، ومن أتاه مُصبِحا خرج معه سبعون ألف ملَك يستغفرون له حتى يمسي.)

ولا شكّ في أن من تستغفر له الملائكة يغفر الله له، لأنّ الملائكة لا تستغفر لأحد إلّا بإذنه.

* ألوف الملائكة تطوف بالبيت المعمور في السماء

(البيتُ المعمور في السماء السابعة، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملَك، لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة..) صحيح على شرط الشيخين

يحفظ الله بيته الحرام بملائكة لا عدّ لها ولا حصر، والله أعلم بها.

* آلاف الملائكة يجرّون جهنّم

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم:

(يؤتى بِجهنّم يومئذ، ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها..) هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

ونذكر هنا أنّ خازن جهنّم ملَك اسمه **مالك**.

في القرآن الآية 77 من سورة الزخرف نقرأ قولَ ربّنا عزّ وجلك

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾

الجزء الثالث

الملائكة في بيان المسيح الموعود عليه السلام

* حقيقة الملائكة ماهيّتها وضرورة وجودها

في كتابه الشهير **(مرآة كمالات الإسلام)** يُبيّن الإمام المهدي والمسيح الموعود ميرزا غلام أحمد القادياني، عليه السلام، حقيقة وماهية الملائكة، فيقول:

"**فليكن واضحا** أنني قد أَثبتُّ إلى الآن ضرورة وجود الملائكة تماماً، وذلك يتلخّص في أنّ الله فوق كلّ شيء من حيث تنزهه وتقدّسه، ويستخدم المظاهر المناسبة في تدلّياته وتجليّاته. ولأنّ الأشياء المادية بعيدة كل البُعد عن الله تعالى، علّةِ العِلَل وصاحب الفيض الكامل، لكونها مقيدة كليّاً بقيود وجودها، وتسمى بـ"الموجود" مقابل وجود الله البارئ، وتختص بإراداتها وأفعالها الطبيعية، ولها وجود مستقل جامع لهوية النفس ومانع لهوية الغير، وتحيط بها حُجُب غليظة لأنانيتها ومخلوقيتها، لذا لم تعُد مستحقة أن تنزل عليها فيوض الله الأحد **بصورة مباشرة**، والتي لا تنزل إلّا إذا لم تكن الحجُب المذكورة حائلة، وأن يكون هناك كيان يشبه العدم تماما. **فلما** لم يكن وجود هذه الأشياء شبيها بالعدم، بل كل شيء من المخلوقات من هذا القبيل **يُعلِن وجوده** بأعلى صوته؛ فمثلا تُعلن **الشمس** قائلة: أنا التي تتوقف عليها الحرارة والبرد والضوء كله، وألقي بتأثيراتي الـ ٣٦ نوعا على العالم في ٣٦٥ يوما، وأُسَخّن ما واجه أشعتي وأُبَرّد ما انحرف عنها، وأُسَيطر على الأجسام، ومكوناتها وأشكالها

وحواسها.

وتقول **الأرض**: أنا التي يسكن على سطحي آلاف البلاد، وأُنبتُ أنواع النباتات وأُكوّن في أحشائي شتّى الجواهر وأستقبل كالمرأة تأثيرات السماء.

وتقول **النار** بلسان حالها: أنا حارقة وأملك في ذاتي قوة الإحراق، وأنوب مناب الشمس في الظلام.

كذلك يمدح كلُّ شيء في الأرض نفسَه بلسان حاله؛ فمثلا تقول نبتةُ "**السَّنا**": 'أَخلق في جسم الإنسان تأثيراً حارّاً في الجزء الأخير من الدرجة الثانية، ومجفِّف في الدرجة الأولى ومسهِّل للبلغم والسوداء والصفراء والاختلاطات المحرقة، وأنقّي الدماغ وأفيد في الصّرع وألم الشقيقة والجنون والصداع المزمن وألم الجنب، وضيق التنفس.'

فباختصار، كل هذه الأشياء تمدح نفسَها بلسان حالها وهي محجوبة بأنفسها؛ أي محجوبة بحجاب خواصّها، لذا فقد بعُدت من مبدأ الفيض. فلا يمكن لمشيئة مبدأ الفيض أن تكون على صلة بها بغير توسط أشياء تكون مننزَّهة عن هذه الحجُب، لأنّ الحجُب تحول دون هذا الفيض. لذا فقد اقتضت حكمة الله:

– أن يكون هناك مخلوقاً ليس محجوباً بنفسه ليكون المظهر الأول لإراداته سبحانه، بل:

– يكون خلقًا فريدًا يخلو من نفسٍ حاجبةٍ من حيث فطرته—على

عكس الأشياء الأخرى ..

– ويكون بمنزلة جوارح الله تعالى ..

– ويكون عدده مطابقًا لجميع إرادات الله تعالى التي لها علاقة بالمخلوقات وكافة حاجاتهم ..

– وتكون تلك المخلوقات الغريبة واقفةً أمام الله تعالى **دائمًا** محافظةً على فطرتها كالمرايا النقية، وتكون ذات **جهتين** من حيث وجودها:

جهة للتجرّد والتنزّه، وهي ألطف ومنزّهة عن الحجُب في حد ذاتها، وعلى ذلك تكون مختلفة عن المخلوقات الأخرى، **وشبيهة** تماما بوجود الله تعالى على وجه الظلّية وغير محجوبة بنفسها.

والجهة الثانية: من حيث المخلوقية وبسببها تكون **مطابقة** للمخلوقات الأخرى وقريبة منها **من حيث تأثيراتها**. فبسبب إرادة الله هذه وُجد هذا المخلوق الغريب الذي يُسمى الملائكة.

والملائكة فانون في طاعة الله إلى درجة أنهم لا يملكون شيئًا من الإرادة والتوجّه والقوى الذاتية؛ أي لا يملكون أن يكونوا لطفاء بأحد من تلقاء أنفسهم أو أن يغضبوا عليه، أو يريدوا شيئا برغبتهم أو يكرهوه من عند أنفسهم:

– بل هم مثل جوارح الله تعالى تماما.

– إن كافة إرادات الله تنعكس من خلال مراياهم النقية أولا ثم تنتشر في المخلوقات بواسطتهم؛ ولأنّ الله تعالى في مقام التجرّد والتنزّه التام بسبب قدسيته التامة، لذلك فإنّ الأشياء التي لا تخلو عن كدورة الأنانية ووجودها المحجوب—بل هي محجوبة بنفسها—لا تنسجم مع مبدأ الفيض هذا؛ لذلك كانت هناك حاجة إلى أشياء تطابق الله من وجه، ومن وجه آخر تطابق المخلوق لكي تنال الفيض من جهة وتوصله إلى جهة أخرى.

ومن الواضح أنّه ما من شيء في الدنيا مستقل بذاته من حيث وجوده وبقائه وحركته وسكونه وتغيّراته الظاهرية والباطنية وفي إظهار خاصيته وفي اتّخاذ كلّ عَرَضه[1] أو تركه. بل إنّ كافة أمور الخلق تسير بالاستناد إلى ذلك الحي القيوم وحده، وإن كان يبدو في الظاهر أننا لسنا محتاجين للعون من الغيب في شؤوننا بل نستطيع أن نتحرك حين نشاء ونتوقف حين نريد، ونستطيع أن نتكلم أو نسكت متى نشاء، ولكن نظرة العارفين تؤكد أننا بحاجة حتما إلى النصرة من الغيب في كافة حركاتنا وسكناتنا وجميع أمورنا الأخرى. وإنّ قيومية الله تعالى تعمل في حالة كوننا نطفةً وعلقة ومضغة وكوننا جنينا وفي كلّ حركة من حركاتنا وسكناتنا وكلّ قولنا وفعلنا؛ أي في كلّ ما يستلزم كوننا مخلوقا، ولكن تلك القيومية لا تنزل

1 – العَرَض ضد الجوهر، أي ما كان قائما بغيره ومثاله الثوب ولونه، فالثوب جوهرٌ واللون عرَض، لأنه لا وجود للون دون وجود الثوب./ المترجم

علينا مباشرة (**بدون توسّط**) لكوننا محجوبين بأنفسنا؛ لأنّه لا تشابه بيننا وبين ذات الله الألطف والأعلى والأغنى ونور الأنوار. لأنّ كلّ شيء منّا، سواء أكان حيّاً أم لا، محجوبٌ بنفْسه وبعيد كلّ البُعد عن حظيرة تنزّه القدسية. لذا صار تَوسّطُ وجود الملائكة بيننا وبين الله تعالى ضرورياً كضرورة توسط القوى الروحانية والحسية بين جسد الإنسان ونفسه، لأنّ النفس كانت في غاية التجرد واللطافة، وأما الجسد فكان محجوبا بنفسه وواقعا في الكدورة والظلمة، لذلك فقد خلق الله تعالى بينهما القوى الروحانية والحسّية ذات الاتجاهين كي تَنال تلك القوى فيضاً من النفس الناطقة وتؤدّب به الجسد كلّه وتهذبه."[1] (مرآة كمالات الإسلام)

المقتبسات التالية من كتاب (فتح الإسلام) للإمام مرزا غلام أحمد القادياني، الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، بدءاً من الصفحة 14

* معنى نزول الملائكة؟

لعلّ جاهلاً يستغرب هنا ويقول: فليتضح أنّ سنة الله قد جرت أنّه **كلما نزل من السماء** رسولٌ أو نبيّ أو محدَّث لإصلاح خلق الله **ينزل**

[1] – من مجلّد (**مرآة كمالات الإسلام**) للإمام مرزا غلام أحمد القادياني، الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، ص 487 –489. يُرجى ملاحظة أنّ العناوين الجزئية في هذه المقتبسات ليست من بيان المسيح الموعود وإنما هي من مؤلّف هذا الكتاب.

معه ملائكةٌ حتماً **يُلقون** الهداية في القلوب المتحمسة ويرغِّبونهم في الحسنة **ويستمر نزولهم** طالما لم تنمحِ ظلمة الكفر والضلال وينبلج صبح الإيمان والحق كما يقول جل شأنه:

﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ (القدر 4-5)

* تنزل الملائكة وروح القدس مع بعثة نبيّ أو رسول، أو مصلح

فإنّ الملائكة وروح القدس **تنزل** من السماء حين ينزل إلى الأرض رجلٌ عظيم لابساً خلعة الخلافة ومشرفاً بمكالمة الله. **ويوهب** هذا الخليفُة الروحَ القدس بوجه خاص، **وتتنزل** الملائكة التي معه على القلوب السليمة من أهل الدنيا كلهم. **فحيثما** وجد أشخاص متميّزون من هذه الناحية نزل عليهم ذلك النور ويغطِّي العالم كله.

* الملائكة تُسبب نشوء الأفكار الحسنة وتُحبّب بالتوحيد

وتنشأ في القلوب أفكارٌ حسنة تلقائياً بتأثير الملائكة الطيّب ويحبَّب إليهم التوحيد، وتُنفخ في القلوب الصادقة روح حب الصدق والبحث عن الحق ويرزق الضعفاء قوةً، وتهبّ رياح تدعم هدف ذلك المصلح وتخدم غايته وينجذب الناس إلى الصلاح تلقائيا بِجذبِ يدٍ من الغيب، فتَحدث

في الأقوام حركة. عندها يَظن عديمو الفهم من الناس أنّ أفكار الناس ميالة إلى الصدق تلقائيا ولكنه في الحقيقة عمل الملائكة التي تنزل من السماء مع خليفة الله، ويَرزقون الناسَ قوى خارقة لفهم الحق وقبوله—يوقِظون الرقود ويعيدون السكران إلى الصواب ويفتحون آذان الصم وينفخون روح الحياة في الأموات، ويخرجوهم من القبور. عندها يبدأ الناس بفتح عيونهم دفعة واحدة وتنكشف على قلوبهم أمورٌ كانت خافية من قبل.

والحق أنّ هؤلاء الملائكة ليسوا منفصلين عن خليفة الله بل هم نور وجهه وعلامات جلية لعزيمته ويجذبون إلى أنفسهم كل ذي طبيعة ملائمة بقوتهم المغناطيسية، سواء أكان قريبا جسدياً أو بعيداً، وسواء أكان من المعارف أو من الأغيار تماماً وإن كان يجهل حتى الاسم.

فباختصار، إنّ الحركة إلى الحسنة التي تنشأ في ذلك الزمن، وألوان الحماس الذي يتولد لقبول الحق سواء أكان في الآسيويين أو في سكان أوروبا أو أميركا إنما يظهر بِحثٍّ من الملائكة الذين ينزلون مع خليفة الله.

* نزول الملائكة تأييداً لبعثة الإمام الموعود

هذه هي سنة الله التي لن تجدوا فيها تبديلاً أبداً، وهي واضحة تماماً وسريعة الفهم، وإن لم تتدبَّروها فمن شقاوتكم. فما دمتُ قد جئتُ من الله تعالى بالصدق والحق، لتجدُنَّ آيات صدقي في كل حدب وصوب. والوقت الذي سترون فيه نزول الملائكة من السماء أفواجا على قلوب أهل

آسيا وأوروبا وأميركا ليس ببعيد بل، هو على الأبواب.

لقد علمتم من القرآن الكريم أنّ الملائكة تنزل مع نزول خليفة الله حتما ليوجهوا القلوب إلى الصدق، فانتظروا هذه الآية. وإن لم ينزل الملائكة، ولم تشاهدوا في الدنيا تأثيرات نزولهم بصورة بارزة ولم تجدوا حركة القلوب إلى الحق أكثر من المعتاد فاعلموا أنه لم ينزل من السماء أحد. ولكن لو ظهرت كل هذه الأمور فعليكم أن تكفوا عن الإنكار حتى لا تُعدّوا عند الله قومًا متمردين."

/المقتبسات التالية من كتاب **(توضيح المرام)** للإمام ميرزا غلام أحمد القادياني، الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام/

* الملائكة لا تُغادر مقاماتها

ليس في غير محله القول هنا بأنّ ما فَسّرتُ به "**روح القدس**" أو" **الروح الأمين**" وغيرهما لا يناقض معتقدات المسلمين عن الملائكة بشيء، لأنّ الباحثين المسلمين لا يعتقدون قط أنّ الملائكة ينزلون إلى الأرض بوجودهم المادّي مشياً على الأقدام مثل الناس، إذ إنّ هذه الفكرة باطلة بالبداهة، لأنّه لو كان ضروريا أن ينزل الملائكة إلى الأرض بوجود مادّي لإنجاز مهامهم الموكولة إليهم، لاستحال عليهم إنجازها على الإطلاق. فمثلاً: إنّ ملاك الموت—الذي يقبض في ثانية واحدة أرواح آلاف الناس، الساكنين على بعد آلاف الأميال بعضهم عن بعض في مختلف البلاد والأمصار، لو

اضطر للذهاب مشيا، على الأقدام إلى بلد كلّ واحد ودخول مدينته ثم بيته لِقَبْضِ الأرواح متكبّداً كلّ هذه المشقّة؛ لما كَفَتْه عدة شهور أيضاً دع عنك ثانية واحدة. ثم هل يُعقل أن يتحرك أحد على غرار الإنسان ويكمل جولته في العالم كله في لمح البصر أو أقل من ذلك؟ كلا، بل الملائكة لا يتنحّون قيد شعرة عن مقاماتم التي حدّدها الله لهم في القرآن الكريم بقوله:

﴿**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ**﴾

فكما أنّ الشمس تبقى في مدارها ولكن حَرَّها وضوءها ينتشران على الأرض ويفيدان كلّ شيء على وجه البسيطة بحسب خواصهما، كذلك تكون الكيانات الروحانية؛ سواء أسميناها النفوس الفلكية، حسب تصور اليونانيين، أو أرواح الكواكب بحسب مصطلح "**دساتير**" و "**الفيدا**"، أو سميناها "**ملائكة الله**" بكل بساطة على غرار الموحدين.

* الملائكة يوصلون كلّ شيء إلى كماله المطلوب

والحق أنّ هذا المخلوق الغريب مستقر في مكانه وعاكف على إيصال كل شيء في الأرض إلى كماله المطلوب بحكمة الله الكاملة، فتقوم هذه الكيانات الروحانية بالخدمات المادية والروحية. كما أنّ للشمس والقمر والكواكب الأخرى تأثيراً في أجسامنا وقوانا المادية، كذلك تؤثّر الملائكة في قلوبنا وأذهاننا وكافة قوانا الروحانية تأثيرات مختلفة بحسب مواهبنا.

وكلّ ما يملك قدرة على التحوّل إلى شيء ذي بال، سواء أكان تراباً أو[1] قطرة ماء في المحار أو النطفة التي تقذف في الرحم؛ تتحول بتربية ملائكة الله الروحانية إلى لَعَل أو ألماسٍ أو ياقوت أو لؤلؤة لامعة من الجواهر الثمينة، أو يصبح إنساناً صاحب ذهن وقلب ذي صفات عظيمة.

أعود إلى ذكر الملائكة وأقول إنّ القرآن الكريم قد تناول ذكرهم بأسلوب سلس وواضح بحيث لا يسع الإنسان إلّا قبوله. ويُبَين التعمق في القرآن الكريم أنّ هناك حاجة ماسّة إلى الوسائط لتربية جميع كائنات الأرض ظاهرياً وباطنياً.

* الملائكة تتحكّم بطبقات السماء وهي بمنزلة الروح للكواكب

ويتبين بصراحة تامة من بعض الإشارات الواردة في القرآن الكريم أنّ بعض الأرواح الطيّبة التي تسمى ملائكة، لها علاقات مختلفة مع طبقات السماء؛ فبعضهم يتحكمون في الرياح بحكم تأثيرهم الخاص بها، وبعضهم يتحكمون في الأمطار، وبعضهم يلقون على الأرض تأثيرات أخرى.

فلا بدّ أن تكون لتلك الأرواح الطيّبة علاقة—بحكم علاقتها بالنور—مع الأجرام المضيئة والنورانية التي في السماء. ولكن يجب إلّا تعتبر تلك

[1] – إن الملائكة يسمون ملائكًة لأنهم ملاك الأجرام السماوية وملاك الأجسام الأرضية، بمعنى أنهم بمنزلة الروح لقيامها وبقائها .وأيضاً يسمون ملائكة لأنهم يقومون بأعمال الرسل أيضا، منه.

العلاقة كما لكل كائن حي على وجه الأرض روح. بل إنّ لتلك النفوس الطيّبة—بسبب نورها وضيائها الروحاني—علاقة مجهولة الكُنْه مع الأجرام المضيئة. وإنّ طبيعة تلك العلاقة هي أنّه لو افترضنا انفصال تلك النفوس الطيبة عن النجوم لوقع الخلل في جميع قواها. والمعلوم أنّ جميع الأجرام مسخرة لأعمالها بالقوة الكامنة بيد تلك النفوس. كما أنّ الله تعالى كالروح للعالَم كله (ليس المراد هنا التشبيه الكامل) كذلك إنّ هذه النفوس النورانية بمنزلة الروح للكواكب.

وإذا حدث الانفصال بينها، فلا بد من حدوث فساد كبير في كيفية وجودها أصلا. لم يختلف أحد إلى يومنا هذا في أنّ كل النجوم والكواكب في السماء تعمل دائما على تربية كائنات الأرض وتكميلها. باختصار إنها حقيقة ثابتة ومتحققة تماما أنّ الكواكب السماوية تؤثِّر، ليل نهار، في كافة النباتات والجمادات والحيوانات، حتى إنّ الفلاح البسيط والساذج أيضاً يوقن أنّ لضوء القمر على الأقل تأثيراً حتمياً في إنعاش الفواكه وزيادة نموها، وأنّ لحرارة الشمس تأثيراً في نضجها وحلاوة مذاقها، وأنّ لبعض الرياح تأثيرا حتمياً في كثرة الثّمار. فما دامت سلسلة الكون المادية تتربى وتتأثر بتأثيرات تلك الأشياء؛ فأيّ شك في أن تؤثر النفوس النورانية بإذن ربها في السلسلة الباطنية أيضا، التي لها علاقة قوية مع الأجرام المضيئة كعلاقة الروح بالجسد.

* الملائكة واسطة بين الله وأنبيائه لإفاضة أنوار الوحي

ليكن معلوما أيضاً أنه قد يبدو من سوء الأدب ظاهريا الاعتبار أنّ هناك واسطة بين الله وأنبيائه الأطهار لإفاضة أنوار الوحي، ولكن يمكن أن يُفهم جيدا، بشيء من التدبّر، أنّ ذلك ليس سوء أدب قط، بل هو مطابق تماما لقانون الطبيعة العام المشهود والملحوظ بكلّ وضوح في كلّ شيء في الدنيا. فإننا نرى أنّ الأنبياء عليهم السلام؛ أيضاً محتاجون لهذه الوسائط من حيث أجسامهم وقواهم المادية. وإنّ عيون الأنبياء أيضاً، مهما كانت نورانية ومباركة، ليس بمقدورها أن ترى شيئا—كما عيون عامة الناس—بغير واسطة ضوء الشمس أو ما يقوم مقامها، ولا يستطيعون أن يسمعوا شيئا بغير واسطة الهواء. لذلك لا بد من القبول أيضاً أنّ روحانية الأنبياء تتأثر حتماً، بل تتأثر أكثر من روحانية غيرهم بالنفوس النورانية التي في الكواكب، لأنه كلما كانت الموهبة لاستقبال التأثير أصفى وأكمل؛ كان التأثير أصفى وأكمل. ويتبين من القرآ الكريم أنّ للكواكب والنجوم روحا حسب قوالبها، ويمكن تسميتها بنفوس الكواكب أيضا. وكما توجد في الكواكب والنجوم، بحسب قوالبها المادية، خواصّ مختلفة تؤثّر في كلّ شيء في الأرض حسب الكفاءة، كذلك في نفوسها النورانية أيضاً خواص مختلفة الأنواع والأقسام تؤثّر بإذن الله الحكيم العليم في بواطن كائنات الأرض. وهذه النفوس النورانية تظهر على العباد الكُمَّل متجسدَّة بأجساد وتُرى متمثلةً في صورة بشر.

وليكن معلوما أيضاً أنّ هذا الكلام ليس من قبيل الخطاب البحت، بل يشمل حقيقة لا بد لطالب الحق والحكمة من قبولها؛ لأننا قد قبلنا أنّ الأجرام السماوية تُربي الأجسام الأرضية حتماً، وكلما أمعنا النظر في الأجسام الأرضية من حيث الاستقراء نرى أمارات هذه التربية في كلّ شيء بالبداهة، سواء أكان من النباتات أو الجمادات أو من الحيوانات. فنحن مضطرون للقبول، بناء على التجربة الصريحة، أنّ لهذه النفوس النورانية علاقة بتقدم سلسلة الكمالات الروحانية وتنوير القلب والذهن. وبسبب هذه العلاقة جَعلتْ الشريعة الغراء واسطة الملائكة بين الله ورسله—على سبيل الاستعارة —ضرورية. وقد عُدّ الإيمان بها من واجبات الدّين.

* كل ذرّة من الأجسام يطلق عليها اسم الملائكة أيضاً

وإنّ شريعة القرآن قد ذَكرت النفوسَ النورانية، المرتبطة بالأجرام السماوية والعناصر والدخانات ارتباط الروح بالجسم، باسم الملائكة أو الجِنّة. ولم تعتبر الملائكة النورانيين—الذين لهم مكانة خاصة في الكواكب والنجوم النورانية—واسطةً بينه وبين رسله إلى درجة اعتبار الملائكة قادرين ومخولين، بل إنّ بين قدراتهم مقابله كالميت في يد الحي؛ يستخدمه الحي كما يشاء. ولذلك فقدُ أطلق في بعض الأماكن من القرآن الكريم على كلّ ذرّة من الأجسام أيضاً اسم الملائكة؛ لأنّ كل تلك الذرات تسمع

لربها الكريم وتفعل ما تؤمر. فمثلا إنّ كلّ ذرة من المواد التي تُحدث التغييرات في جسم الإنسان باتجاه الصحة أو العلَّة، إنّما تتقدم أو تتأخر بحسب مشيئة الله.

* وجود الملائكة يشكل نظاما سماويا يُثبت قدرة الله تعالى

والآن يجب التدبّر جيداً: هل الإيمان بالوسائط المذكورة في القرآن الكريم يستلزم أي نوع من الشرك؟ أو أيّ خلل يقع في قدرة الله وعظمته؟ بل الحق أنها أسرار المعرفة ودقائق الحكمة التي تلاحظ في كل صفحة من صفحات قانون الطبيعة، وبدون الإيمان بهذا النظام لا تثبت قدرة الله الكاملة، ولا يمكن أن تعمل ألوهيته على ما يرام. وكيف يمكن أن يجري الكون كله بحسب مشيئة الله ما لم تُظهِر كلُّ ذرة انقيادَها التام له كالملائكة؟ هل لأحد أن يوضح لي ذلك؟ وإذا كان النظام الروحاني لملائكة السماء يعيب قدرة الله تعالى شيئاً، فكيف لا يطعن في قدرة الله الكاملة ذلك الإيمانُ بنظام الملائكة المادي الذي يماثل النظام الروحاني تماما؟

* الخواص من الملائكة ليسوا أعلى مقاماً من خواصّ البشر

فليكن معلوما أيضاً أنّ مرتبة الملائكة الخواص بحسب الشرع الإسلامي ليست أعلى من خواص البشر، بل إنّ الخواصّ من البشر أفضل من

خواص الملائكة. فإنّ كون الملائكة هم الوسائط في النظام المادي أو النظام الروحي لا يدل على أفضليتهم، بل هم مسخرون للخدمة كالخدم حسب توجيه القرآن الكريم.

* من خلال الملائكة سخّر الله للبشر كلّ ما في السماوات والأرض

يقول جل شأنه: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**﴾ (إبراهيم 33). أي لقد سخّر الله تعالى الشمس والقمر لخدمتكم. فمثلا إذا كان ساعي البريد، يوصل رسائل المِلك إلى إقليم أو حاكم، فهل يثبت من ذلك أنّ ساعي البريد الذي كان واسطةً بين الملك والحاكم العام أفضل من الحاكم نفسه؟ فاعلموا أنّ هذا هو حال الوسائط الذين يبلّغون مشيئة الله إلى الأرض ويعكفون على تنفيذها. لقد قال الله تعالى بكل صراحة في عدة مواضع من القرآن الكريم بأنّ كلّ ما خُلق في السماء من الأشياء فإنها قد خُلقت لفائدة الإنسان فقط. والإنسان أعلى وأرفع مرتبة من كل شيء، فقد سَخَّر كلّ شيء لخدمته كما يقول تعالى:

﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾

(إبراهيم 33-34)

﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ (البقرة 29)

أي سَخّر لكم الشمس والقمر اللذين لا يبقيان على حالة واحدة من

حيث الكيفية والخواص؛ فمثلا الصّفات التي تتحلى بها الشمس في أشهر الربيع لا تتحلى بها في الخريف قط. فمن هذا المنطلق تكون الشمس والقمر في حركة ظاهرية مستمرة، وبحركتهما يحلّ فصل الربيع حينا ويحلّ فصل الخريف في حين آخر. وفي فترة تظهر لهما صفات وخواص معينة ثم تظهر في فترة أخرى على عكس ذلك تماما. ثم يقول تعالى في آية أخرى ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ (التين 4)

أي خلقنا الإنسان على أعلى درجة من الاعتدال، وهو الأحسن والأفضل اعتدالا من جميع المخلوقات. وقال أيضا:

﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ (الأحزاب 72). أي عرضنا أمانتنا——وهي عِشْق الله وحبه وطاعته الكاملة، حتى بعد المرور من الابتلاء، على ملائكة السماء جميعاً، وعلى كافة مخلوقات الأرض، وعلى الجبال، أي على الكائنات الضخمة والقوية ظاهرياً، ولكن كل هذه المخلوقات رفضت حَمْلَ هذه الأمانة، وخافت حملها نظرًا لعظمتها. ولكن الإنسان حملها لأنه كان يتحلى بصفتين اثنتين: أولاهما، أنّه كان جاهزاً ليظلم نفسه في سبيل الله. والصفة الثانية أنّه كان قادراً على أن يَبْلُغ في حبّ الله مَبلغا ينسى فيه نفسه تماماً.

* أمر الله الملائكة بالسجود للإنسان الكامل، ومعنى السجود

وقال تعالى في موضع آخر:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (ص 71-74)

أي أنّه تعالى (الذي أنتَ مظهره الأتم) يقول للملائكة: إذا خلقتُ هذا الإنسان بكمال الاعتدال ونفختُ فيه من روحي؛ فقعوا له ساجدين؛ أي انصرفوا إلى خدمته بكلّ تواضع واخدموه كأنكم تسجدون له ... ليكن معلوما أنّ **أمْر السجدة لا يتعلق بالزمن الذي خُلق فيه آدم**، بل هذا أَمْر منفصل أَمَرَ اللهُ به الملائكةَ بأنّه كلما وصل إنسانٌ مرتبةَ الإنسانية الحقيقية وحظي بالاعتدال الإنساني، وسكنتْه روحُ الله تعالى؛ فليسجدوا لذلك الإنسان الكامل. أي انزِلوا عليه بالأنوار السماوية وصّلوا عليه. فهذه **إشارة إلى السنّة القديمة** التي يعامل بها الله تعالى عباده الأصفياء دائما. فكلما يحرز أحد تسويةً روحانيةً في عصر من العصور وتسكنه روح الله تعالى—أي يُفني نفسه وينال مرتبة البقاء بالله—يبدأ نزول الملائكة عليه بوجه خاص. مع أنّ الملائكة يُسخَّرون لنصرته وخدمته في المرحلة الابتدائية من سلوك ذلك الإنسان أيضاً، ولكن هذا النزول يكون أتم وأكمل حتى يدخل في حكم السجود. ولقد بيَّن الله تعالى باستخدام كلمة

السجود أنّ الملائكة ليسوا أفضل من الإنسان الكامل، بل يسجدون للإنسان الكامل تعظيما وتبجيلا له مثل الخدم في بلاط الملك.

* الإنسان يجلّي في شخصه كافة شؤون العالَم الكبير وصفاته وخواصه

كذلك بيَّن الله تعالى علوَّ مرتبة الإنسان مقارنة مع جميع كائنات الأرض والشمس والسماء بإشارات واستعارات دقيقة في سورة الشمس بقوله:

﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾ (الشمس 1-15)

أي أنّه أقسم بنفس الإنسان، وبالذي وهب له كافة الكمالات المتفرقة للاعتدال الكامل والاستقامة الكاملة، ولم يحرمه من أيّ كمال، بل جمع فيه جميع أنواع الكمالات المذكورة تحت قائمة الأقسام المذكورة آنفًا بحيث تجمع نفس الإنسان الكامل في ذاتها كمال الشمس وضوءها، وتتحلى نفسه بصفات القمر أيضاً، لأنه قادر على اكتساب الفيض من غيره، ويستطيع أيضاً أن يحرز نوراً باطنياً باستمداده من نور آخر. وفيه صفات

النهار المشرق أيضاً؛ فكما أنّ العمال والأُجراء يستطيعون أن ينجزوا أعمالهم على خير ما يرام في ضوء النهار، كذلك ينجز طلاب الحق والسالكون على سبل "السلوك" مهامّهم الدينية متأسّين بأسوة الإنسان الكامل بسهولة ويسر. إنّ ذلك الإنسان الكامل قادر إذن على أن يُظهر نفسه بجلاء كامل كالنهار، ويجمع في شخصه صفات النهار كافة.

إنّ للإنسان الكامل مماثلة، نوعاً ما، مع الليلة الحالكة أيضاً لأنه مع كونه محظوظاً من الله بالانقطاع التام إليه والتبتل البالغ غايته، يميل أحيانا بسبب الحكمة الإلهية إلى أهواء نفسه المظلمة. أي أنّ الإنسان الكامل يؤدي جميع حقوق النفس التي وضعت له كالأكل والشرب والنوم وأداء حقوق الزوجة أو ...

وإضافة إلى ذلك توجد في نفس الإنسان بعض من صفات الليل الدقيقة الأخرى أيضاً التي اكتشفها بدقة متناهية علم الفلك والنجوِم وعلوم الطبيعة. كذلك لنفس الإنسان الكامل مماثلة بالسماء أيضا. فمثلا؛ إنّ فضاء السماء واسع جداً بحيث لا يملؤه شيء، كذلك إنّ نفس هؤلاء الأبرار أيضاً تكون بالغةً من السعة غايتها. فمع تحصيلهم آلاف المعارف والحقائق يهتفون بأعلى صوتهم: "**ما عرفناك**" وكما أنّ الفضاء مليء بالنجوم اللامعة، كذلك أُودع الإنسان الكامل قوى منيرةً تتراءى متلألئةً تلألُؤ النجوم في السماء.

ولنفس الإنسان الكامل مماثلة تامة مع الأرض أيضاً؛ فكما تتصف

الأرض الجيدة الخصوبة بأنها لو بذرت وحرثت حرثاً جيداً وسقيت على ما يرام وأُكملت جميع مراحل الزراعة ومقتضياتها بالتمام، لأثمرت ألف مرة أكثر من أراضٍ أخرى، ولكانت ثمارها ألطف وأحلى ومرغوبا فيها أكثر، ولكانت أعلى وأجود كيفا وكما مقارنَة مع ثمار أراض أخرى. كذلك الحال بالنسبة إلى نفس الإنسان الكامل—حين تبذر فيها الأوامر الإلهية تنبت فيها أشجار الأعمال الصالحة مع أنواع الخضرة العجيبة، وتحمل ثماراً غايةً في الجودة واللذّة بحيث يندفع كلُّ من رآها للقول تلقائيا "سبحان الله، سبحان الله" بملاحظته قدرة الله المقدسة، فالآية: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوّاها**﴾ توحي بجلاء أنّ الإنسان الكامل بمنزلة عالَم كامل معنى وكيفاً، ويجمع في شخصه كافة شؤون العالَم الكبير وصفاته وخواصه إجمالا. فقد ذكر الله جلّ شأنه خواصّ جميع الأشياء تلميحاً بدءاً من الشمس إلى الأرض التي هي مستَقر لنا، أي ذَكَرها مقرونة بالقسم ثم ذَكر نفسَ الإنسان الكامل ليُعَلم أنّ نفس الإنسان الكامل جامعة للكمالات المتفرقة التيُ ذكرت بصورة منفصلة في الأشياء التي أقسم بها من قبل."

/المقتبسات أعلاه من كتاب (**توضيح المرام**) ص 75-87 ويتبع من (**توضيح المرام**) من ص 93 :/

"أما إذا طُرح سؤال: **كيف يمكن مشاهدة هذه الخصائص في نفس الإنسان عمليّاً؟** فيقول الله تعالى ردّا على ذلك: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾: (الشمس 9-10) أي من زَكّى نفسه وتخلّى عن

الرذائل والأخلاق الذميمة تماماً وسّلم نفسه لأوامر الله تعالى؛ نال مَرامه، ووجد نفسه جامعةً للكمالات المتفرقة مثل العالَم الصغير. ومن لم يُزكّ نفسه، بل دسّاها في تراب الأهواء السيئة؛ حُرم من نيل المرام.

فملخص الكلام أنّه توجد في نفس الإنسان، دون أدنى شك، الكمالات التي توجد متفرقًة في العالم كله. وللتيقُّن من وجودها، هناك سبيل بسيط ومستقيم؛ وهو أن يتوجه الإنسان إلى تزكية نفسه حسب مشيئة قانون الله، لأنه في حالة التزكية لن تنكشف عليه حقيقة تلك الكمالات الكامنة كعلم اليقين فحسب، بل كحق اليقين.

* الإنسان أفضل من جميع المخلوقات والملائكة تنال العزّة بخدمته

ولقد تبين بوضوح من هذه الآيات البيّنات أنّ الله تعالى قد خَلق الإنسان أفضل وأعلى من جميع المخلوقات، وأنّ كون الملائكة والكواكب وغيرها من الأشياء وسائط بين الله والإنسان لا يدل على أفضليتها. وأنها لا ترفع من شأن الإنسان لكونها الوسائط، بل هي التي تنال العزة لكونها سُخّرت لخدمة أشرف المخلوقات. إذن، هي خادمة كلها وليست مخدومة. ونِعم ما قال الشاعر سعدي الشيرازي رحمه الله ما تعريبه:

"إنّ السحاب والريح والقمر والشمس والأفلاك كلّها مسخّرة لكي تَكسب لقمة عيشك؛ فلا تأكلها ناكراً للجميل.

كلّ هذه الأشياء مسخّرة لخدمتك وطاعتك، وليس عدلا إن لم تطع أنت ربك."

* تأثيرات الملائكة ومهامّا ودور جبريل عليه السلام

والآن أعود إلى بقية كلامي وأقول إنّ ملائكة الله، كما قلتُ من قبل، ليسوا على مستوى واحد من حيث المرتبة والعظمة، وليسوا مكلَّفين بمهمة واحدة. بل كل ملاك مكلَّف بإنجاز مهمة مختلفة. فكلّ ما ترونه في الدنيا من تغيرات وانقلابات، أو ما يحدث على صعيد الواقع بسبب القوة الكامنة، أو كّلما تصل الأرواح والأجسام إلى الدرجة المطلوبة من كمالها؛ كل ذلك يتم بعمل التأثيرات السماوية فيه. وفي بعض الأحيان يلقي ملاك واحد تأثيراته المختلفة في مواهب الناس وإمكانياتها المتفاوتة. فمثلا؛ إنّ جبريل—وهو ملاك عظيم الشأن ومرتبط بكوكب شديد التألق في السماء—مكلَّف بخدمات عديدة وفقا لخدمات أنيطت بالكوكب الذي يرتبط به جبريل. ومع أنّ هذا الملاك ينزل على كل شخص يُشرَّف بوَحي الله تعالى (المراد من النزول هنا هو إلقاء التأثير وليس بصورة ظاهرية)، ولكن دائرة تأثيرات نزوله تنقسم إلى دوائر صغيرة أو كبيرة بحسب مواهب كل شخص وظروفه. إنّ أكبر وأوسع دائرة التأثير الروحاني لجبريل ترتبط بوحي سيدنا خاتم الأنبياء. لذلك فإنّ المعارف والحقائق وكمالات الحكمة والبلاغة التي توجد في القرآن الكريم بصورة أكمل وأتم، لا يحظى بهذه المرتبة العظيمة أيّ كتاب سواه.

* أثر الملائكة النوراني في الجنين في الرحم وبعد التكوين

ولا بد من التذكّر أيضاً، كما أشرت إليه من قبل أيضاً، أنّ تأثير الملاك على نفس الإنسان يكون على نوعين:

النوع الأول: هو التأثير الذي يقع بإذن الله على الجنين وهو في الرّحم، ويختلف التأثير على اختلاف البذرة في الرحم.

النوع الثاني: هو التأثير الذي يقع بعد تكوين الوجود، ويعمل عمله لإيصال مواهبه الممكنة إلى درجة الكمال قدر الإمكان. وإذا كان النوع الثاني من التأثير يتعلق بنبي أو وليٍّ كامل، سمي وحْيًا. فعندما تنشئ النفس المتحمسة علاقة الصداقة—نتيجة نور إيمانها ونور حبّها الكامل—مع مبدأ الفيوض ويستولي على حبّها حبُّ الله واهب الحياة؛ فإنّ القدرة، التي ينالها الإنسان على التقدم، إلى ذلك الحين، تكون إظهارا للتأثير الكامن الذي تركه ملاك الله في الجنين حين كان في رحم أمه. ثم حين ينال الإنسان المرتبة المذكورة آنفاً، نتيجة التأثير الملائكي الأول، يلقي عليه الملاك نفسه تأثيره النوراني من جديد، ولكن ليس من عند نفسه، بل لكونه خادما وسيطاً، فإنّه يجذب فيض نور الله في نفسه ويوصله إلى الجانب الثاني؛ تماماً مثل الأنبوب الذي يجذب الماء من جانب ويوصله إلى جانب آخر.

* انعكاس جبريل على مرايا القلوب على قدر سعتها ونقائها

عندما يَطرح الإنسان نفسه قرب أنبوب روح القدس نتيجة اقتران الحُبَّين ينزل من ذلك الأنبوب فيض الوحي عليه دفعة واحدة. أو قولوا إن شئتم إنّ **جبريل** يلقي بأنواره على ذلك القلب المتحمس ويرسم فيه صورته. وعندها تسمى تلك الصورة المنعكسة أيضاً جبريل، مثلما سمي الملاك المستقر في السماء جبريل. أو يمكن القول مثلاً: إذا كان اسم ذلك الملاك "**روح القدس**" تسمى تلك الصورة المنعكسة أيضاً روح القدس. ولكن هذا لا يعني أنّ الملاك يقتحم داخل الإنسان، بل تنعكس صورته في مرآة قلب الإنسان. فمثلا لو واجهتم مرآة نقية؛ لارتسمت فيها صورة وجهكم المنعكسة فورا حسب ملامحكم. ولكن هذا لا يعني أنّ رأسكم فُصل من العنق ووضع في المرآة، بل يبقى الرأس في مكانه وإنما يقع على المرآة انعكاسه فقط. ثم الانعكاس أيضاً لا يكون هو هو دائماً، بل يتوافق مع سعة مرآة القلب. فمثلا لو رأيتم وجهكم في مرآة صغيرة في فَصّ الخاتم؛ فسيظهر فيها الوجه بكامله أيضاً، غير أنّ كل عضو من أعضائه سيبدو أصغر كثيراً من وضعه الطبيعي. ولكن لو أردتم رؤية وجهكم في مرآة كبيرة تكفي لعكس ملامحكم كاملة؛ لظهرت ملامحكم وأعضاء الوجه كلها على وضعها الطبيعي. فهذا هو حال تأثيرات جبريل، فإنه يلقي تأثيراته على كلّ وليٍّ مهما كان صغيراً، وقد ظل جبريل نفسه يلقي تأثيراته أيضاً على قلب سيدنا خاتم الأنبياء، ولكنّ الفرق بين النوعين من الوحي كالفرق بين

المرآة الصغيرة والكبيرة. أي أنّ **جبريل كان هوَ هو** في الظاهر، **وتأثيراته هِي هي** ولكن الموهبة المستقبِلة في جميع الحالات لم تكن على مستوى واحد من السعة والصفاء.

ولقد أوردتُ هنا كلمةَ "**الصفاء**" لبيان أنّ الاختلاف في تأثيرات جبريل ليس كمّاً فقط، بل كيفًا أيضًا. بمعنى أنّ صفاء القلب—— الذي هو شرط للانعكاس——لا يكون على مستوى واحد لدى جميع المهمين، كما ترون أيضاً أنه ليست كلّ المرايا على مستوى واحد من الصفاء. فمنها ما هو مصقول جيداً وصافٍ جداً؛ فتظهر صورُة الناظر فيها كاملة، ومنها ما هو وسخ وضبابي ومغبرّ فلا تظهر فيه الصورة بوضوح، بل تبدو بعضها مشوّهة؛ فإن ظهرتْ الشفتان ما شوهد الأنف، أو إن شوهد الأنف ما ظهرتْ العينان. والحال نفسه بالنسبة إلى مرايا القلوب؛ فكلما كان القلب صافياً كان الانعكاس فيه أصفى وأجلى، وكلما كان القلب مكدّراً ظهر فيه الانعكاس مكدّراً.

* حين يتحرّك الله إراديّاً يصير التحرّك شرطاً لجميع المخلوقات

لقد حظي قلب النبي بصفاء أكمل وأصفى لم يحظَ به قلب آخر قط. هنا لا بد من البيان أيضاً أنّ الله——الذي هو عّلة العلل، وبوجوده ترتبط سلسلة جميع الموجودات——حين يتحرك إراديا لإحداث أمر ما، سواء بصفته المربي أو بصفته القاهر، يصبح التحرك——إذا كان بصورة أتم

وأكمل—شرطًا لا غنى عنه لجميع المخلوقات. أما إذا كان تحركاً جزئياً؛ فيحدث التفاعل في بعض أجزاء العالَم بحسبه.

* مثَل علاقة المخلوقات بالله

الحق أنّ مَثل علاقة المخلوقات والعوالم مع الله عز وجل كمثل علاقة الجسم مع الروح. فكما أن جميع أعضاء الجسم تتبع مشيئة الروح وتميل حيثما مالت، كذلك الحال بالنسبة إلى العلاقة بين الله وخلقه. لا أقول في حق الله واجب الوجود كما قال صاحب كتاب "فصوص الحِكَم: "خَلقَ الأشياءَ وهو عينها"، بل أقول: "**خلق الأشياء وهو كعينها**". هذا العالم كصرحٍ ممرّد من قوارير، وماء الطاقة العظمى يجري تحتها ويفعل ما يريد. يخيّل في عيون قاصرة كأنها هو. يحسبون الشمس والقمر والنجوم مؤثرات بذاتها؛ ولا مؤثر إلّا هو."

* العالم بمثابة الجسم والأعضاء والجوارح لله تعالى

لقد كَشف عليَّ الحكيمُ، مطلق الحكمة، هذا السر المكنون، وهو أنّ هذا العالَم كله مع جميع أجزائه ليس قائما بنفسه، بل هو كالأعضاء من أجل تنفيذ أفعال الله، عّلة العلل وإراداته، ويستمد القوة كل حين من ذلك الروح الأعظم. كما أنّ جميع قوى الجسم قائمة بسبب الروح فيه، كذلك إنّ بعض الأشياء في هذا العالَم—الذي هو بمنزلة الأعضاء لذلك

الروح الأعظم—إنما هي بمنزلة نور وجهه سبحانه وتعالى وتفيد كالنور ظاهرا أو باطنا بحسب مشيئته سبحانه وتعالى. وبعض هذه الأشياء هي بمنزلة يديه، وبعضها بمنزلة قدميه، وبعضها بمنزلة نفسه سبحانه وتعالى.

باختصار، إنّ مكوّنات هذا العالم هي بمنزلة الجسم بالنسبة إلى الله تعالى، وكلّ ما لهذا الجسم من رونق وبهاء ورشاقة وحياة، إنما هو بسبب ذلك الروح الأعظم الذي هو قيّومه. وكلما حدثت في ذلك القيوم حركة إرادية، نشأت الحركة في أعضاء هذا الجسم كلِّها أو بعضها حسبما يقتضيه ذلك القيوم.

لتصوير البيان المذكور أعلاه يمكننا أن نفترض على سبيل التخيّل أنّ قيوم العالمين هو الوجود الأعظم الذي له أعضاء من أيد وأرجل تخرج عن حد الإحصاء والطول والعرض، وأنّ لهذا الوجود الأعظم أذرعا—كما تكون للأخطبوط—تصل إلى أنحاء صفحة الوجود كله وتعمل عمل الجاذبية، وهذه الأعضاء هي نفسها التي تسمى العالم. وكلما تحرك قيوم العالم جزئيا أو كليًّا فلابد من أن تتحرك أعضاء هذا العالم أيضا، وسوف ينفّذ جميعَ إراداته من خلال هذه الأعضاء وليس بطريق آخر. فهذا هو المثال سهل الفهم لهذا الأمر الروحاني. وأما ما قيل إنّ كلَّ جزئية من المخلوقات تابعة لمشيئة الله وتحقق أهدافه الخفية من خلال خدماتها الخفيّة، وتفنى في سبيل مرضاته بطاعته الكاملة، فإنّ هذه الطاعة ليست من قبيل الطاعة التي تأتي نتيجة السلطة والإكراه، بل الحق أنّ كل شيء

يُجذَب إلى الله تعالى جذبا مغناطيسيًا، ويبدو أنّ كل ذرة خاضعة له عزّ وجلّ بطبعها خضوعَ الجوارح المختلفة للجسم. فالحقّ كلّ الحق أنّ العالَم كلّه بمنزلة الجوارح لذلك الوجود الأعظم، ولهذا السبب يسمى ذلك الوجود قيوم العالمين، لأنّه قيوم المخلوقات كلّه كَكون الروح قيوم الجسم. ولولا ذلك لفسد نظام العالَم فسادًا تامًّا.

* لا تظهر مشيئةٌ له على الأرض دون هذه الوسائط قط

إنّ كل مشيئة ذلك القيوم—سواء أكانت ظاهرة أم باطنة، دينية أَم دنيوية—إنما تظهر بواسطة المخلوقات، **ولا** تظهر مشيئةٌ له على الأرض دون هذه الوسائط قط. هذه هي سنّة الله الجارية دون تحويل أو تبديل منذ بدء الخليقة. ولكني أستغرب استغرابا ما بعده استغراب من عقول الذين يرون ضرورة بخار الماء كواسطة لنزول المطر المادي الذي ينزل على الأرض من السحاب، ويرون نزوله بمحض قدرة الله دون السحاب حامل الماء مستحيلا؛ ولكنهم يسخرون جهلا من توسط سحاب الملائكة— الواجب شرعا—لنزول غيث الإلهام الذي ينزل على القلوب النقية، ويقولون: أليس الله بقادر على أن يُنزِل الإلهام بنفسه دون واسطة الملائكة؟

إنهم يعتقدون أنّ سماع صوت بغير واسطة الهواء ينافي قانون الطبيعة، ولكنهم غافلون عن قانون الطبيعة المتعلق بالهواء الذي يوصِل صوت الله

الروحاني إلى قلوب الملهمين. إنهم يقبلون بالحاجة إلى ضوء الشمس لتبصر العيون المادية، ولكن لا يوقنون بحاجة العيون الروحانية للنور السماوي.

فلما عُلم بوضوح تام بأنّ قانون الله هو أنّ هذا العالَم مع جميع قواه الظاهرية والباطنية بمنزلة جوارح الله واجب الوجود، وأنّ كل شيء يعمل في الحقيقة عمل الجوارح حسب مقتضى الحال والظروف، وأنّ كل إرادة من إرادات الله تظهر بواسطة تلك الجوارح ولا تظهر مشيئة بغير وساطتها قط؛ فعلينا أن نعلم أيضاً على وجه اليقين أنّ علاقة جبريل—التي عدت ضرورية ومقبولة في الإسلام—بنزول وحي الله على القلوب الطاهرة مبنية على المبدأ الحق نفسه الذي ذكرناه قبل قليل.

وبيان ذلك أنّه من الضروري، حسب قانون الطبيعة المذكور آنفًا، أن يعمل مخلوقٌ عمل الجارحة لإظهار إرادة الله في مجال إلقاء الوحي أو تزويد أحد بموهبة تَلقّي الوحي، وأن يعمل في مجال تنفيذ مشيئته سبحانه في أمور تتعلق بالإلهام والروحانية، كما ينفذها مادّيًا، فهذه الجارحة نفسها تسمى بتعبير آخر "**جبريل**"، الذي يتحرك **بلا تأخير** كجارحة تبعًا لحركة ذلك الوجود الأعظم. أي عندما يتوجه الله تعالى بحب إلى قلب محب، يضطرّ جبريل—الذي علاقته بالله علاقة النَفس بالهواء، وعلاقة العين بالنور—للتحرك إلى الاتجاه نفسه حسب المبدأ الذي ذكرناه قبل قليل، أو قولوا إن شئتم إنّه يتحرك عفويا وتلقائيا على إثر حركة الله كما يتحرك الظل بصورة طبيعية بحركة الأصل.

* صورة جبريل ترتسم على قلب المحب

فعندما يتحرك نور جبريل بِجَذْبٍ من الله وحثٍّ منه ومن نفحاته النورانية ترتسم صورته—التي يجب أن تسمى روح القدس—على قلب المحب الصادق فورا، وتصبح جزءًا لا يتجزأ من حبه الصادق. عندها تعمل هذه القوة عمل الأذن لسماع صوت الله وتنوب مناب العين لرؤية عجائبه، وتؤّثر على اللسان تأثير الحرارة المحركة لجريان إلهاماته التي تحرك اللسان بقوة متزايدة على خط الإلهام. وما لم تنشأ هذه القوة يبقى قلب الإنسان عَمِهاً ويبقى لسانه مثل قطار انفصل عن القاطرة. وليكن معلوماً أنّ هذه القوة التي تسمى "**روح القدس**" لا تنشأ بمستوى واحد في كلّ قلب، وإنما يؤثر فيه هذا النور الملائكي لجبريل بقدر كمال حب الإنسان أو نقصه.

والجدير بالذكر أيضاً أنّ قوة روح القدس التي تنشأ في قلب الإنسان باجتماع الحُبّين، كانعكاس لنور جبريل الملائكي، لايشترط لنشوئها أن يسمع الإنسان على الدوام كلام الله المقدس أو يرى الكشوف باستمرار، بل هي بمنزلة أسباب فورية لتلقي الأنوار السماوية. أو قُل إن شئت بأنها نور روحاني من الله لتبصر بواسطتها عيونٌ روحانية، أو هي هواء روحاني لإيصال الصوت إلى آذان روحانية. والواضح أنه ما لم يكن هناك شيء موجوداً أصلاً؛ فلا يمكن للضوء أن يظهر وجوده. وما لم يتفوه المتكلِّم بكلام؛ لا يمكن للهواء أن يوصل أيّ خبر إلى الآذان. كذلك فإنّ هذا

الضوء أو الهواء ما هو إلّا كمؤيِّد سماوي للحواس الروحانية؛ ومثلهما كمثل ضوء الشمس للعيون المادية، أو كمثل الهواء للآذان المادية. وعندما يريد الله تعالى إلقاء كلامه على قلب مُلْهَم، فَفَور توجهه للكلام من أجل الإلقاء ينشأ تيار ضوئي أو هوائي في نور جبريل الملائكي، أو تنشأ موجُة حرارة لتحريك لسان الملهم. وبسبب هذا التموج أو الحرارة يتراءى ذلك الكلام مكتوبا أمام عيني الملهم فورا، أو يتناهى صوته إلى أذنيه، أو تجري الكلمات الإلهامية على لسانه. إنّ الحواس الروحانية والنور الروحاني المعطيين للملهَم قبل الإلهام كمَلَكة، إنما أُعطيا لكي يحرز قوَّة استقبال الإلهام قبل نزوله عليه، لأنه لو نزل الإلهام وقلب الملهم محروم من الحواس الروحانية أو لم يصل عينَ قلبه نورٌ من روح القدس، لما كانت عنده عيون طاهرة لمعرفة الإلهام الإلهي، فلهذه الضرورة يعطى الملهَم تلك المَلَكتين.

* مهمات جبريل الثلاث

وسيدرك القراء من خلال هذا البحث أنّ جبريل مكلَّف في الوحي بثلاث مهمات:

أولا: عندما تُقذف في الرحم نطفُة لتكوين الشخص الذي يريد الله أن يجعل فطرته قابلة لتلقي الإلهام بمقتضى رحمانيته سبحانه دون أن يكون للإنسان يد في ذلك، يلقى عليه انعكاس نور جبريل الملائكي حال كونه نطفة. فتحرز فطرة ذلك الشخص مَلكة تَلَقّي الإلهام بفضل الله البحت،

فيعطى حواس مناسبة للإلهام.

ثانيا: ومهمة جبريل الثانية هي أنه عندما يَدخل حب الإنسان في ظل حب الله، تحدث حركةٌ في نور جبريل نتيجة تحرك صفة الله المربي، فينزل ذلك النور على قلب المحب الصادق؛ أي ينعكس ذلك النور في قلب المحب الصادق فترتسم عليه صورة جبريل التي تعمل عمل الضوء أو الهواء أو الحرارة، وتبقى في الملهم كموهبة لتلقّي الإلهام. وإنّ جانباً منها يكون متغلغلاً في نور جبريل، وجانبها الآخر يدخل قلب الملهم، ويمكن تسميته بتعبير آخر بـ "**روح القدس**" أو صورته.

ثالثا: ومهمة جبريل الثالثة هي أنه كلما ظهر من الله تعالى كلام، تنشّط جبريل كالهواء وأبلغه إلى آذان القلوب، أو جعله أمام عيني متلقيه بصورة ضوء لامع، أو أزكى الكلام بصورة حرارة تدفع اللسان وتجريه وراء كلمات الإلهام.

هنا أريد أن أزيل وسوسة المتورطين في الشك والارتياب، إذ يقولون: "ما وجه أفضلية إلهامات الأولياء والأنبياء وكشوفهم على غيرهم؟ فكما أن الأمور الغيبية تكشف على الأنبياء والأولياء فإنها أيضاً تكشف أحيانا على غيرهم، بل إنّ بعض الفسّاق والفجار الطغاة البالغين الغاية أيضاً يرون رؤى صادقة في بعض الأحيان. وأحيانا يروي بعض الأوغاد والأشرار العتاة أيضاً مكاشفاتهم وتتحقق أيضاً. فما دام الأشرار والخبثاء والأوغاد والمعروفون بسوء طويتهم وتصرفاتهم الشنيعة أيضاً يشاركون في هذه الظاهرة

أولئك الذين يعدون أنفسهم أنبياء أو يعتبرون أنفسهم محتلّين مرتبة خاصة، فأيّ فضيلة بقيت للأولياء والأنبياء؟"

أقول جوابا على ذلك إنّ هذا السؤال صحيح تماما في حد ذاته، وإنّ جزءا من ستة وأربعين جزءاً من نور جبريل منتشر في العالم كله، ولا يخرج عن نطاقه فاسق أو فاجر أو طالح من الدرجة الأولى أيضاً. بل أعتقد أيضاً أنه قد ثبت بالتجربة أنّ الرؤيا الصادقة قد تراها أحيانا امرأة فاسقة من فئة المومسات، هدرت شبابها كلّه في الرذيلة. والأغرب من ذلك أنّ امرأة مثلها يمكن أن ترى في ليلة قضتها في شرب الخمر وممارسة الرذيلة حلماً يتحقق.

* يقع تأثير جبريل على جميع بني آدم

وليكن معلوما أنّه من المفروض أن يحدث هذا، لأنّ نور جبريل يلقي بتأثيراته على العالم كلّه، مثل الشمس التي هي مركزه، بحسب إمكانيات المتلقِّين. وليس هناك أية نفس بشرية تركت في الظلام تماما في هذا العالم. بل الحق أنّ شيئا من حب المستقر الأخير والمحبوب الحقيقي يوجد في كل شخص مهما كانت طبيعته دنيئة. ففي هذه الحالة كان ضروريا أن يقع تأثير جبريل إلى حد ما على جميع بني آدم حتى المجانين منهم، وهذا هو واقع الأمر، لأنّ المجانين، الذين يسميهم عامة الناس مجذوبين، يتأثرون بنور جبريل في بعض الأحيان نتيجة انقطاعهم عن الدنيا نوعاً ما، فيقع شيء

من ضوء هذا النور على عيونهم الباطنية فترى شيئاً من تصرفات الله الخفية. ولكن هذا النوع من الأحلام والمكاشفات لا يحط من شأن النبوة أو الولاية ولا يقلل من عظمتهما ولا يحدث التباساً مريباً ومحيّرا؛ لأنّ هناك فرقاً بيّنا بين الفريقين يستطيع كل ذي عقل سليم أن يدركه بسهولة."

/نهاية المقتبسات من كتاب **توضيح المرام** /

/المقتبسات التالية من كتاب (**مرآة كمالات الإسلام**) للإمام ميرزا غلام أحمد القادياني، الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه الصلاة والسلام بدأً من الصفحة ص 66/

* نور روح القدس لا تُفارق الممتلئين بحبّ الله

"عندما ينزل حُبّ الله على حُبّ العبد ينشأ ظلّ منير وكامل لروح القدس في قلب الإنسان بالتقاء الحبين ... إنّ الخوارق الاقتدارية تصدر من هؤلاء لأنّ نور روح القدس يُحالفهم دائماً ويسكن فيهم فلا ينفصلون عنه ولا ينفصل النور عنهم أبداً في حين من الأحيان، ولا في حال من الأحوال. يخرج هذا النور مع نفَسَهم دائما، ويقع مع نظرهم على كل شيء، ويُري الناس لمعانه من خلال كلامهم. وإنّ هذا النور يسمّى روح القدس؛ ولكن هذا ليس روح القدس الحقيقي، بل إنّ روح القدس الحقيقي هو ذلك الذي في السماء، وروح القدس هذا إنما هو ظله الذي يسكن في الصدور والقلوب والأذهان الطاهرة للأبد ولا ينفصل عنها طرفة

عين، ومَن رأى أنّ روح القدس هذا ينفصل عنه بكل تأثيراته فهو على الباطل تماما ويسيء بأفكاره المظلمة إلى أصفياء الله المقدسين.

* "نعم القرين" و "بئس القرين"

صحيح تماما أنّ روح القدس الحقيقي يبقى في مكانه، ولكن ظله الذي يسمى مجازًا أيضاً روح القدس—يدخل تلك الصدور والقلوب والأذهان **وكافة أعضاء** الذين يستحقون نزول حب الله الكاملِ مع بركاته على حبّهم الأصفى والأجلى، بعد نوالهم مرتبة البقاء واللقاء. وعندما ينزل روح القدس المذكور فإنّه يتعلق بكيان ذلك الإنسان تعلقَ الروح بالجسد، فينوب مناب قوة البصر ويعمل عمل العيون، ويصبح قوة الشم ويهب الآذانَ حِسًّا روحانيًّا، ويمثّل كلام اللسان وتقوى القلب وذكاء الذهن ويسري في اليدين ويوصل تأثيره إلى القدمين أيضًا.

زبدة الكلام أنّه يزيل الظلمة كلّها من كيان الإنسان وينوّره من قمة الرأس إلى أخمص القدمين. ولو انفصل عنه طرفة عين لحلّ محله الظلام. ولكنه "**نعم القرين**" الذي أُعطيه الكُمّل من الناس، إذ لا ينفصل عنهم لحظة واحدة. أما الاعتقاد بإمكانية انفصاله عنهم فهو إقرار بتعبير آخر على وقوعهم في الظلام مرة أخرى، بعد أن خرجوا إلى النور، وتعود إليهم النفس الأمارة بعدما عُصموا منها، وتُبطَل وتُعطّل.

فيا مَن تُنكرون هذه الحقيقة وترفضون نكتة المعرفة هذه لا تستعجلوني

واستشهدوا بنور قلوبكم، هل ابتعاد نور العباد الأصفياء عنهم كليّاً في وقت من الأوقات أمرٌ واقعي؟ هل يصحّ أن تُفقَد من المؤمنين الكُمّل أحيانا جميع الآيات النورانية عند كمال إيمانهم؟

وإذا قلتم: متى قلنا إنّ نور الأصفياء الروحاني كلّه ينطفئ في وقت من الأوقات ويحيط بهم الظلام كليا؟ فجوابه أنّ هذا ما يتبين من اعتقادكم. إذ إنّكم أنتم تعتقدون أيضا—التزاما بآيات كلام الله واتّباعها—أنّ الأصفياء يُعطَون كلّ نور وسكينة وطمأنينة وبركة واستقامة وكل نعمة روحانية بواسطة روح القدس فقط. **وكما اعتُبر** الشيطان "**بئس القرين**" للأشرار والكفار إلى الأبد لينشر فيهم الظلمة دائما فلا يفارقهم في قيامهم وقعودهم وحركتهم وسكونهم؛ وفي حالة نومهم ويقظتهم، **كذلك** أُعطي المقربون روح القدس كنعم القرين لكي ينزِل عليهم النور دائما ويكون في تأييدهم في كل حين ولا ينفصل عنهم في وقت من الأوقات.

* نعم القرين لا يُفارق الصالحين والمقرّبين

فمن الواضح الآن أنّه ما دام ضروريا أن يكون نعم القرين رفيق المقربين وأنيسهم دائما وفي كل حين—كما يخبر القرآن الكريم—مقابل بئس القرين الذي يلازم أشد الناس شرًّا ويرافقهم دائما، فلو جاز انفصال نعم القرين عن المقربين—كما يزعم إخوتنا من قومنا الذين يعاندوننا من الداخل، ويقولون بأنّ روح القدس (وهو اسم جبريل) ينزل تارة من السماء

ويقترن بالمقربين بشدة حتى يتبوأ قلوبهم، وتارة أخرى يتركهم وحدهم ويهجرهم ويبتعد عنهم ملايين الأميال، بل إلى مسافاتٍ لا تُعد ولا تحصى، ويصعد إلى السماء ويقطع علاقته عن هؤلاء المقربين تماما ويختفي في مستقره! عندها يُحرمون كليا من ذلك النور وتلك البركة التي تنشأ عند نزوله في قلوبهم وأذهانهم وفي كلّ جزء من كيانهم!

أفلا يستلزم هذا الاعتقاد أنّ الظلمة تحيط بهؤلاء الأصفياء مرة أخرى بعد انفصال روح القدس عنهم، ويسري فيهم تأثير بئس القرين نتيجة فِراق نعم القرين، والعياذ بالله؟

يجب أن تفكروا قليلا بتقوى الله وخشيته، هل هذا هو الأدب؟ وهل هذا هو الإيمان والعرفان؟ وهل هذا هو حُبّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم، بأن يُسمح بهذا العيب والحالة المتردّية للنبي وكأنّ روح القدس كان يهجره فترات طويلة وكان يُحرم من الأنوار القدسية التي هي ظل روح القدس؟

والأدهى والأَمرّ من ذلك أنّ المسيحيين يعتقدون بحق المسيح قَطعا ويقينا أنّ روح القدس لم يهجره قط منذ أن نزل عليه، بل كان المسيحُ مؤيَّداً به دائما وأبدًا حتى ما كان لينفصل عنه أثناء نومه ولم يصعد إلى السماء تاركا إياه وحيداً مهجوراً، ولم ينفصل عنه نورُ روح القدس ولا لحظة واحدة، في حين من الأحيان؛ بينما يعتقد المسلمون بأنّ روح قدس النبي كان يهجره، ويقرّون أمام أعدائهم بكل صراحة بأنّ النبي لم يحظَ

بصحبة دائمة لروح القدس مثل عيسى. الآن، تأملوا جيداً، فأية إساءة وسوء أدب أكبر من أن يهان النبي إهانة صريحة بإعطاء المسيحيين فرصة للاعتراض؟

مَن منا لا يعرف أنّ نزول روح القدس مدعاة للنور وأنّ هجرَه سبب الظلام والظلمة وسوء الاعتقاد وضياع الإيمان؟ ... إنّ المسيحيين لا يعتقدون—حتى عن الحواريين—أنّ روح القدس كان يهجرهم في وقت من الأوقات، بل يعتقدون أنهم كانوا يوصلون فيض روح القدس إلى الآخرين أيضاً ...

* الملائكة تحفظ كلّ نفس، وجبريل هو ملاك الرقابة الداخلية

إذا طُرح سؤال: أين جاء في القرآن الكريم صراحةً أو إشارة أنّ روح القدس يبقى مع المقربين دائما ولا يهجرهم؟ فجوابه أنّ القرآن الكريم زاخر بهذه التصريحات والإشارات، بل يعِد كلّ مؤمن بصحبة روح القدس. ومن جملة الآيات التي تصرح بذلك أوائل آيات سورة الطارق وهي:

﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾ (الطارق 1-4) فالآية الأخيرة منها ﴿**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾ التي معناها أنّ على كل نفسٍ ملاكًا حافظا، تدل دلالة صريحة على أنه كما أنّ هناك ملاكا موكلا على وجود الإنسان الظاهري لا ينفصل عنه، كذلك هناك ملاكٌ موكل بحفظ باطنه أيضاً

فيحفظه من الشيطان ويحميه من ظلمة الضلال، وهو روح القدس الذي لا يسمح بتسلّط الشيطان على عباد الله الخواص. وهذا ما تشير إليه أيضاً الآية: ﴿**إن عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾.

لاحظوا كيف تُبيّن هذه الآية بصراحة تامة أنّ ملاكاً من ملائكة الله يبقى مع الإنسان دائماً وفي كل حين لحِفظه، ولا يفارقه لحظة واحدة، فهل يمكن أن يخطر بالبال في هذا المقام أن يكون هناك ملاكٌ موكل بالإنسان لرقابته المادية دائما ولم يوكل برقابتة الروحانية الدائمة؟ كلا، بل إنّ أكثر الناس تعصباً أيضاً يستطيع أن يفهم أنّ حفظ الباطن والروح أهم من حفظ الجسد، لأنّ ضرر آفّة الجسد يقتصر على هذا العالَم، أما آفّة الروح والنفس فتُلقي بالمرء في جهنم أبدية.

فكيف لنا أن نزعم أنّ الله الرحيم الكريم الذي يرحم جسد الإنسان الذي سيصبح ترابا غدا لا يرحم روح الإنسان؟ فثابت من هذا النص القطعي واليقيني أنّ روح القدس أو قولوا إن شئتم ملاك الرقابة الداخلية يبقى مع الإنسان الصالح دائما، كما يكون معه لحفظه المادي.

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم بهذا المعنى يثبت منها أنّ هناك ملائكة موكّلين لتربية الإنسان وحفظه الظاهري والباطني ولتسجيل أعماله ويبقون معه على الدوام. فمن جملة تلك الآيات قول الله تعالى:

﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ**﴾ (الإنفطار 10)

﴿**وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً**﴾ (الأنعام 61)

﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾

(الرعد 11)

أيْ أنّ لله حافظين يرسلهم عليهم فيحفظونهم من كل جانب، ظاهرياً وباطنياً أيضاً.

وفي هذا المقام أورد صاحب "معالم"حديثا يفيد أنّ لكل عبد ملاكاً موكلاً يبقى معه دائماً ويحفظه في أثناء نومه ويقظته من الشياطين والبلايا الأخرى. وبهذا المعنى أورد حديثا آخر برواية كعب الأحبار. وقد أورد ابن جرير في تأييد هذه الآية حديثاً:

(إنّ معكم من لا يفارقكم إلّا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم.)

وقد جاء في هذا المقام عن عكرمة **حديث** مفاده **أنّ الملائكة يرافقون الإنسان دائماً لحفظه من كلّ شرّ، وعندما ينزل القدر المبرم يهجرونه.** ونُقل عن مجاهد أنّه **ما من إنسان لم يوكل لحفظه الدائم ملاك.** ونُقل حديث آخر عن عثمان بن عفّان يتلخص في أنّ عشرين ملاكاً يلازمون الإنسان لأداء مهمات مختلفة، وأنّ إبليس يترصّد للإضرار في النهار ويترصد أبناؤه للغرض نفسه ليلًا. وقد أورد الإمام أحمد رحمة الله عليه الحديث التالي:

"حَدثنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ حَدثنَا سُفْيَان حدثني مَنْصُور عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الجَعْدِ عَنْ أَبِيه عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ :قَالَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم **مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلّا وَقَدْ وُكلَ بِهِ قَرِينُهُ مِن الجِن وَقَرِينُهُ مِن الْمَلَائِكَةِ. قَالُوا وَإِياكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ وَإِيايَ لَكِن اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ فَلَا يَأْمُرُنِي إلّا بِخَيْرٍ.**" انفرد بإخراجه مسلم.

* روح القدس قرين إلى الأبد يدعو إلى الحسنات

فمن هذا الحديث يتبين بكلّ وضوح أنّه كما وُكِّل بالإنسان الداعي إلى الشر الذي يرافقه دائما، كذلك قد وُكّل الداعي إلى الخير أيضاً بكلّ بشرٍ لا يهجره في حال من الأحوال، بل هو قرينه ورفيقه دائماً. ولو وَكَّل الله تعالى بالإنسان داعياً إلى الشر فقط دون توكيل الداعي إلى الخير لَوَصَم ذلك عدلَ الله ورحمه بأنّه عزّ وجلّ وكّل الشيطانَ قرينًا ورفيقًا دائماً لفتنة الإنسان الضعيف الذي ترافقه النفس الأمارة سلفًا بحيث يجري منه مجرى الدم ويدخل في قلبه ليترك فيه نجاسة الظلمة ويثير الشر ويخلق الوساوس، ولم يوكِّل به أيّ رفيق لدعوته إلى الحسنة حتى يدخل هو الآخر قلبَه ويجري في الدم لكي تتساوى كلتا الكفتين. ولكن لما ثبت من آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أنه كما وكَّل اللهُ تعالى الشيطان قريناً دائماً ليدعو إلى الشر كذلك **وكَّل** ذلك الرحيم والكريم من ناحية ثانية **روحَ القدس بالإنسان قرينًا للأبد لدعوته إلى الحسنات.** وليس ذلك فحسب

بل إنّ تأثير الشيطان ينعدم تماما في مرتبة البقاء واللقاء وكأنه يُسلم، ويلمع نور روح القدس إلى أقصى الدرجات. فمَن له أن يعترض عندها على هذا التعليم المقدس والأعلى إلّا من كان غبيا أو أعمى يعيش كالبهائم فقط، وليس له من نور التعليم المطهّر نصيب. بل الحق والواقع أنّ هذا التعليم القرآني أيضاً يُعَدّ معجزة من جملة المعجزات، لأنّ الحُسن والاعتدال والحكمة التي حَلّ بها هذا التعليمُ عقدةً، وهي السؤال لماذا توجد في الإنسان عواطفُ الخير والشر القوية، إلى درجة أنّ أنوارها أو ظلماتها تلاحَظ بكل وضوح في عالم الرؤيا أيضاً –لم يحل هذه العقدة أيّ كتاب آخر بهذا الأسلوب المحكم والصادق.

* قوانا وملكاتنا تستفيد من وسائط أخرى تظهر بواسطتها

وما يزيد الأمر إعجازاً هو أنه لا يتوصل المرء إلى أيّ أسلوب ناجع سواه، إذ ترِد على أساليب أخرى اعتراضاتٌ لا يمكن الخلاص منها بحال من الأحوال؛ لأنّ قانون الله في الطبيعة يُثبت لنا بوجه عام أنّ الفائدة التي تستمدها نفوسنا وقوانا وأجسامنا من الله، مبدأ الفيض، إنما **تُستمد بواسطة بعض الأشياء الأخرى**. فمثلا صحيح أنّ الله هو الذي يهب عيونَنا نوراً ولكننا ننال ذلك النور بواسطة الشمس. كذلك إنّ ظلمة الليل التي تريح نفوسنا ونؤدي أثناءها حقوق نفوسنا تأتي منه عزّ وجلّ في الحقيقة، لأنه هو علة العلل لكل مخلوق. ثم حين نرى أنّ هناك قانونا

محدّداً منذ القِدم لفائدتنا، فإنّنا نجد كل فيض من فيوض الله بواسطة غيرنا—وإن كنا نملك في أنفسنا أيضاً قوى لقبول ذلك الفيض —كما أنّ أعيننا تملك نوعاً من النور لقبول الضوء، وأن آذاننا أيضاً تملك في أعصابها حواس لتلقّي أصوات يوصلها الهواء إلينا، ولكن هذا لا يعني أنّ قوانا مخلوقة بصورة مستقلة وكاملة بحيث لا تحتاج إلى مُعينات أو مساعِدات خارجية قط. فنحن لا نرى مطلقا أنّ قوة من قوانا الجسدية يمكن أن تعمل، كما هو حقها، بناء على مَلَكة فيها دون أن تحتاج إلى مُعِين أو مساعد خارجي.

فمهما كانت عيوننا حادة البصر لكننا محتاجون إلى ضوء الشمس. ومهما كانت آذاننا مرهفة السمع لكننا مع ذلك بحاجة إلى الهواء الذي ينقل الصوت من خلاله ويوصله إلى آذاننا؛ فثبت من كل ذلك أنّ قوانا وحدها لا تكفي لإدارة آليّة بشريتنا، بل نحن بحاجة إلى أنصار ومساعدين خارجيين. ولكن النواميس الطبيعية تخبرنا بأنّه، وإن كان ذلك النصير والمعين الخارجي هو الله تعالى لكونه علة العلل، ولكنه لم يدبّر قط أن يؤثّر في قوانا وأجسامنا بغير واسطة؛ بل بقدر ما نمعن النظر ونستخدم أفكارنا وأذهاننا فإننا، نرى بكل صراحة ووضوح، أنّ هناك عِلَلا تتوسط بيننا وبين الله تعالى لنيل كل نوع من الفيض، وبواسطتها تَنال كلُّ قوة فيضاً بقدر حاجتها. من هذا الدليل وحده يَثبت وجود الملائكة والجِنّة أيضاً، لأنّ الذي نريد إثباته هو أنّ قوانا وحدها لا تكفي لاكتساب الخير أو الشر،

بل نحن بحاجة إلى عوامل مساعدة خارجية تملك تأثيراً خارقاً للعادة، ولكن تلك المِدّات والمعينات ليست هي الله تعالى بشكل مباشر ولا تعمل دون واسطة، بل تعمل بواسطة بعض الأسباب. إنّ مطالعة النواميس الطبيعية قد كشفت لنا بالقطع واليقين أنّ تلك **العوامل المساعدة** موجودة في الخارج وإن لم نعلم كنهها وكيفيتها، ولكنه معلوم يقينا أنها ليست الله تعالى مباشرة ولا هي قوانا ولا مَلكاتنا، بل هو **خلقٌ آخر** غير هذا وذاك، ويملك **كياناً مستقلاً**. وعندما نسمي أحدها **الداعي إلى الخير فسندعوه روح القدس أو جبريل**، وحين نسمي غيره **داعيا إلى الشر نسميه شيطاناً وإبليس** أيضاً. ليس ضروريا أن نُري روح القدس أو الشيطان عياناً لكل قلب مظلم، وإن كان العارفون يرونهما إذ يمكن رؤيتهما في الكشوف، غير أنّ المحجوب الذي لا يقدر على أن يرى الشيطان ولا روح القدس يكفيه هذا الدليل لأنّ وجود المؤثر يثبت بوجود المتأثر. وإذا لم يكن هذا القانون صحيحاً فكيف يمكن العثور على وجود الله تعالى إذًا؟ هل لأحد أن يُري أين الله؟ بل الحق أنّه قد اعتُرف بضرورة ذلك المؤثِّر الحقيقي نظرا إلى المتأثرات التي هي نماذج قدرته. غير أنّ العارفين يرونه بعيون روحانية ويسمعون كلامه بعد بلوغهم مرتبتهم الأخيرة. ولكن لا سبيل للاستدلال على وجوده أمام المحجوب إلّا أن يؤمن بالمؤثر الحقيقي من خلال النظر فيما يحدث فيه التأثير. فبهذه الطريقة يثبت وجود روح القدس والشياطين، ولا يثبت فقط، بل يُرى بكلّ

جلاء. ولكن الأسف على الذين أنكروا وجود الملائكة والشياطين متأثرين بظلمة الفلسفة الباطلة، وبذلك أنكروا البيّنات والنصوص القرآنية الصريحة، وسقطوا لغبائهم في هوّة الإلحاد. فليكن واضحا هنا أنّ هذه المسألة من المسائل التي لإثباتها أفردني الله تعالى في استنباط الحقائق من القرآن الكريم، فالحمد لله على ذلك.

وإنّ اعترض هنا أحد من الآريين أو المسيحيين وقال بأنّ معظم المشايخ المعاصرين مثل الشيخ البطالوي محمد حسين والشيخ الدهلوي نذير حسين يخالفون هذا المعتقد ولا يعتقدون مطلقاً أنّ كل إنسان أُعطِي قرينَين؛ أي **الداعي إلى الخير وهو روح القدس، والداعي إلى الشر وهو الشيطان،** بل يقولون بأنه قد أُعطِي قريناً واحداً فقط وهو الداعي إلى الشر ويبقى مع الإنسان دائماً لاستئصال إيمانه، وقد أُعجب الله تعالى كثيرا بفكرة أن يجعل الشيطان مرافقا للإنسان ليل نهار ويعطيه السيطرة على كلّ ذرّة من كيان الإنسان ويوقعه في هوّة الدمار سريعًا، وأنّ جبريل واسمه الثاني هو روح القدس، لم يوكّله عز وجل داعياً إلى الخير لعامة الناس قط، بل ولا للأولياء أيضاً، بل تُرك هؤلاء الناس جميعا في قبضة الشيطان فقط! غير أنّ روح القدس ينزل على الأنبياء فقط، وحتى هذا لا يكون إلّا لحظاتٍ أو لمدة وجيزة جداً، ثم يصعد جبريل إلى السماء مفارقاً إياهم، بل إنّ أنبياء يُحرَمون أحيانا من لقاء روح القدس، أو قولوا جبريل إن شئتم حتى أربعين يوماً، بل أكثر من ذلك. أما القرين الثاني، وهو الشيطان، فلا

يفارقهم لحظة واحدة، **والعياذ بالله**، حتى لو أسلم في نهاية المطاف!

فجوابه: إنّ هؤلاء القوم محجوبون وغافلون ومحرومون من حقائق القرآن الكريم، وإنهم لا يعتنقون هذا الاعتقاد أيضاً بصراحة، بل وقعوا في هذا البلاء لغبائهم وقلّة تدبرهم ثم بسبب بُغضهم لي وضغينتهم؛ لأنّ السّبل التي سلكوها مقابلي كانت فيها هذه الآفات فوقعوا فيها على غير قصد منهم كما يقع الطير في الشَرَك بغير قصد منه، طامعا في حَبّة.

* الملائكة لا ينزلون من السماء إلى الأرض بهويتهم الحقيقية

والحق أنّ هؤلاء القوم قد وَرَدَتْ عليهم مئات الاعتراضات من القرآن والحديث والعقل، عندما أصروا على أنّ جبريل وملاك الموت وغيرهما من الملائكة ينزلون إلى الأرض بهويتهم الحقيقية ثم يعودون إلى السماء بعد هنيهة، وأنهم حينما ينزلون من السماء فإنها تخلو من وجودهم، ثم حين يطيرون من الأرض إلى السماء تخلو الأرض من وجودهم. فمن جملة البلايا التي يقتضيها اعتقادُهم هذا تَلاشي العدل والرحم في نظام الله الروحاني، وقد وجد الكفار وغيرهم من المعارضين فرصة سانحة للاعتراض على الإسلام ليقولوا: "أيّة قسوة قلبية هذه وكم هو بعيد عن الرحم أن يُوَكِّل اللهُ تعالى الشيطانَ وذريتَه بإغواء الإنسان إلى الأبد، ويجعلهم قرناء ومصاحبين له لكي يستأصلوا إيمانه، وليَجْرُوا في كلّ حين وآن في كيانه ومجرى دمه وقلبه وذهنه وفي كلّ جزء من جسده، وفي عينيه وأذنيه

ويوسوسوا له، وألا يعطي سبحانه الإنسانَ ولو قرينا واحدا ليهديه ويبقى معه دائما."

الحق أنّ منشأ هذا الاعتراض هو اعتقادهم المذكور آنفا، لأنّ هؤلاء القوم يعتقدون، من ناحية، بحسب الآية: ﴿**وَمَا مِنّا إلّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُوم**﴾ أنّ لجبريل وعزرائيل، ملاكَ الموت، مقاماً معلوماً ومحدّدا في السماء، لا يستطيعان أن ينزلا منه قيد شبر ولا يستطيعان أن يصعدا فوقه قيد شبر، ومع ذلك، يعتقدون يقينا بضرورة نزولهما إلى الأرض بوجودهما الحقيقي. كذلك يعتقدون، بحسب زعمهم، بصعودهما إلى السماء بوجودهما الحقيقي. ومَن أنكر نزولهما أو صعودهما بوجودهما الحقيقي كان كافراً عندهم. إنّ اعتقاد هؤلاء المسلمين العجيبين يستلزم مصيبةً بأنّهم يقلبون نظام العدل الذي ذكرناه قبل قليل—أي وجود القرين الحسن مقابل القرين السيئ مع الإنسان دائما—رأسا على عقب تماما بحسب اعتقادهم هذا، ويبقى الشيطان وحده مصاحبا للإنسان دائما لأنه حتى إذا نزل الملاك، روح القدس، على أحد—كمسافر مثلا—فيأتيه بحسب اعتقادهم للحظة واحدة أو لمدة وجيزة جدا، ثم يصعد إلى مقره الحقيقي أي السماء، ويهجر الإنسان—أيا كان—تاركًا إيّاه في صحبة الشيطان. أليس هذا الاعتقاد مما يَصِم الإسلامَ بوصمة عار؟ هل يجوز القول عن الله الكريم الرحيم أنه يودّ دمار الإنسان أكثر من هدايته، والعياذ بالله؟ كلا. إنّ العَمِه لا يفهم تعليم القرآن الكريم فينسب إليه غباءه. لقد تعرض

المشايخ لكلّ هذه البلايا التي لا يسعهم الخروج منها لسبب وحيد، وهو زعمهم أنّ الملائكة ينزلون إلى الأرض بكيانهم الحقيقي، وهذا الاعتقاد استلزم اعتقادا آخر وهو أنهم يصعدون إلى السماء أيضاً دون أدنى توقف. فبسبب هذين المعتقَدَين الخاطئين وقعوا في مشكلة حتى أنّهم خرقوا لأنفسهم اعتقاداً ثالثاً بأنّ الإنسان لم يُعطَ نِعْم القرين قط——مقابل بئس القرين——ليبقى معه دائماً.

* الملائكة ينزلون بوجودهم الظّلّي ولهم القدرة على التّمثّل

فباختلاقهم هذا المعتقد قد افتروا على تعليم القرآن الكريم افتراءً شديداً وهيّأوا للأعداء الأشرار فرصة للهجوم عليه. لو أنهم قبلوا أنّ أيّ ملاك لا ينزل بوجوده الحقيقي قط، بل ينزل بوجوده الظّلّي الذي أُعطِي قدرةً على تمثّله، كما كان جبريل يظهر متمثلا في صورة دِحْية الكلبي، وكما تمثّل الملاك للسيدة مريم، لما نشأ أيُّ اعتراض قط، ولما استطاع أحد أن يعترض على دوام نعم القرين. واللافت في الموضوع أنهم باعتقادهم هذا يعادون القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة أيّما معاداة؛ ذلك أنّ القرآن الكريم يبيّن أنّ السماء هي مقرّ الملائكة ومقام ثبوتهم، كما يؤكد بقوة بأنّ المؤمنين الكمّل يُعطَون روح القدس على الدوام ليؤيدهم ولا يهجرهم.

* ثلاث فئات من البشر

ومع أنّ كل شخص يجد في نفسه شيئا من بريق روح القدس نتيجة النور الذي أُودعتْ فطرتُه إياه، لكن ذلك البريق يُغشى بظلمة الشيطان لدى عامة الناس ويختفي كأنه ليس موجودا أصلا. والحقيقة أنّ هناك ثلاث فئات كما يقول الله جل شأنه ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**﴾ (فاطر 32) أيْ **فئة** غلَبَتْهم الظلمة الشيطانية وتضاءل فيهم نور روح القدس. **والفئة الثانية** هي التي يتساوى فيهم نور روح القدس والظلمة الشيطانية. **والفئة الثالثة** هم أولئك الذين غلبهم بريق روح القدس وصاروا خيراً محضاً. والآيات التي جاءت في القرآن الكريم عن روح القدس يتبيّن منها أنّ المؤمنين الكمّل يُعطَون روحَ القدس للأبد؛ فمن جملتها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا**﴾ الأنفال ﴿**وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ**﴾ (الحديد 28)

* روح القدس هو النور والحياة

أي إذا تحلّيتم بالتقوى وخشية الله فسيعطيكم الله تعالى روح القدس الذي تمتازون به عن غيركم كليّا، ويجعل لكم نوراً أي روح القدس الذي سيمشي معكم. إنّ اسم **روح القدس** في القرآن هو "**النور**". ويقول الله تعالى في سورة أخرى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ﴾ (فصلت 30-31)

أي الذين لا ينقص إخلاصهم قط عند أيّة مصيبة أو آفة أو زلزال أو امتحان ... سنكون معهم دوماً في الدنيا والآخرة. ويقول تعالى في سورة أخرى:

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (الأنعام 122)

نوراً يمشي به .. أيْ أنّ بركات ذلك النور تكون معلومة عند الناس، فهل يمكن أن يكون هذا الشخص كمن هو أسير الظلمة كليّاً ولا يقدر على أن يخرج منها؟

والمراد من النور والحياة هو روح القدس فبه تزول الظلمة، وهو يحيي القلوب، لذلك سمّي روح القدس أي روح القدسية التي بدخولها تُنال الحياة المقدسة. كما يقول تعالى في سورة أخرى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ (فاطر 22).

ومن جملة الآيات القرآنية التي يثبت منها أنّ روح القدس يبقى مع عباد الله الملهَمين دائماً، ويهب لهم العلم والحكمة والطهارة: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْه﴾: المراد من كتابة الإيمان هو أنه دخل

إراداتهم الفطرية والطبيعية وصار جزءاً منهم لا يتجزأ، ولم يعد هناك أيّ تكلّف أو تَصنّع.

* يُعطَى الإنسانُ روحاً طاهرة وحياة جديدة بواسطة روح القدس

إنّ مرتبة رسوخ الإيمان في كل ذرّة من القلب ينالها الإنسان حين يحظى بتأييد روح القدس وينال حياة جديدة؛ فكما تبقى الروح داخل الجسد دائما لحِفْظه وتُلقي عليه بنورها كذلك تسكن روحُ القدس لهذه الحياة الجديدة وتُلقي بنورها على القلب في كل لحظة وآن، وكما يحيا الجسد دائما بوجود الروح كذلك يجب أن يحيا القلب وكافة القوى الروحانية بتأثير روح القدس. لذلك قال تعالى أيضاً—بعد بيان أننا كتبنا في قلوبهم الإيمان—بأننا أيَّدناهم بروح القدس، لأنه حين كُتب في قلوبهم الإيمان ودخل فطرتهم نال الإنسان حياة جديدة، وهذه الحياة الجديدة لا تُنال قط إلّا بتأييد من روح القدس. لقد سمُّي روح القدس بهذا الاسم لأنه بدخوله يُعطَى الإنسان روحا طاهرة.

إنّ القرآن الكريم زاخر بذكر الحياة الروحانية، وقد سمَّى المؤمنين أحياءً مراراً، وسَمّى الكفار أمواتاً. وهذه إشارة إلى أنّ المؤمنين ينالون حياة جديدة نتيجة دخول روح القدس. أما الكفار فمع أنهم أحياء جسدًا لكنهم محرومون من الحياة التي تهب القلب والذهن حياة الإيمان.

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: **اللهم أيِّد حسان**

بروح القدس كما نافح عن نبيك، أي أيّده بجبريل. قال تعالى ﴿**وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾.

* جبريل يكون في السماء عند نزول الوحي

عن النواس بن سمْعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بأمره تكلّم بالوحي، فإذا تكلّم أخذت السماوات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة؛ من خوف الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السماوات صُعقوا وخروا لله سجدا. فيكون أول مَنْ يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام، فيكلمه الله من وحيه بما أراد. فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلها من سماء إلى سماء يسأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول قال: "الحقّ، وهو العلي الكبير". فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض.)

إنّ قوله صلّى الله عليه وسلّم: "**تَكلّمَ بالوحي**" يعني أنه يتكلم بكلام لا يزال فيه إجمال وإخفاء نوعاً ما، فتَحدثُ رجفةٌ في السماء بسبب الكلام المحجوب المعنى، فيعمّ ذلك الكلام المهيب جميع السماوات ولا يدرك أحد معانيه. وكلّ ملاك يرتعد بخوف الله مرتقباً ما هو حادث. ويُغشى الملائكة كلُّهم فيخرون لله سجّداً، فيرفع جبريل رأسه قبل غيره ويفهّمه الله تعالى

تفاصيلَ الوحي كلّه ويُطلعه على مشيئته ومرضاته.

عندها يذهب جبريل بذلك الوحي إلى الملائكة الموجودين كلّهم في سماوات مختلفة، فيسأله كلّ ملاك: ماذا كان هذا الصوت المهيب، وما المراد منه؟ فيجيبهم جبريل: **'الحقّ، وهو العلي الكبير'**، أي أنّ هذا الوحي من الحقائق التي رأى الله العليّ الكبير أنْ من الحكمة إظهارُها، فيقولون كلهم مثل ما قال، ويبلِّغ جبريلُ ذلك الوحي حيث أُمر بتبليغه سواء في السماء أو في الأرض.

يتبين من هذا الحديث أنّ جبريل يكون في السماء عند نزول الوحي، ويبلّغه إلى محله المناسب، حيث وهب الله تعالى صوتَه القوة والقدرة. فما أبطَله من اعتقاد القولُ في هذه الحالة بأنّ جبريل هَجر السماوات بوجوده الحقيقي وجاء إلى عيسى عليه السلام وبقي معه إلى ٣٣ عاماً متتالية وظلّت المهمات الموكولة إليه كلها—التي ذكرناها قبل قليل—مُلغاةً! وهذا الاعتقاد يستلزم أيضاً أنّ الوحي كان ينزل على الأرض تلقائياً دون واسطة جبريل، وكان جبريل يتلقّاه على الأرض.

والأمر الثاني الجدير بانتباه القراء الكرام هو أنّ هؤلاء المشايخ أطروا عيسى في كلّ شيء وأساؤوا إلى سيدنا ومولانا. والأدهى والأمَرّ من ذلك أن يعتقدوا بحق المسيح أنّ روح القدس لم يفارقه قط، وأنّه كان بريئاً من مسّ لشيطان، وأن كلا هذين الأمرين كان خاصاً به وحده.

* روح القدس لم يهجر سيّدَنا ومولانا محمّداً ولا لحظة واحدة

لو اعتقد الصحابة في رسول الله أنّ روح القدس كان يهجره حينًا من الأحيان أو إلى فترات طويلة **لما** أخذوا منه الأحاديث التي قالها في كلّ وقت وفي كلّ زمن، كلا بل ظلّ نظرهم مركّزًا على قوله تعالى ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (النجم 3-4)

لا شك في أنّ الصحابة كانوا يعتقدون أنه لم يخلُ فعلٌ للنبي أو أيّ قول له من هدي الوحي؛ سواء أكان ذلك الوحي مجملا أو مفصّلا، أو خفيّاً أو جليّا، أو بيّنا أو مشتبَهًا لدرجة أنّ جميع معاملات النبي ومكالماته مع أزواجه في الخلوة والسرّ وجميع الأمور العائلية المتعلقة بالأكل والشرب واللباس وضرورات الحياة اليومية قد ضُمت كلها إلى الأحاديث بفكرة أنّ كل تلك الأعمال والكلام كان من نور روح القدس.

عن رسول الله صلى (**اكتب فوالذي نفسي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِي إِلّا حَق**). أيْ كلّ قول أو فعل يصدر مني فهو من الله تعالى كلّه. وكان جبريل هذا تمثلّا لجبريل الحقيقي؛ أي كان ظله وليس عينه، لأنّ جبريل بعينه موجود في السماء بصفاته الخاصة، وحقيقتُه وشأنه مختلف.

* الأنبياء يشاهدون وجود جبريل التمثيلي وليس الأصلي

إنّ جبريل لا ينزل بنفسه، بل إنّ وجوده التمثلي هو الذي يشاهده

الأنبياء، وأما جبريل فيبقى ثابتا مستقرا في مقامه في السماء.

المفسرون والصحابة أيضاً متّفقون على أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قد رأى وجودَ جبريل الحقيقي مرتين فقط. ويمكن لطفل صغير أيضاً أن يفهم أنّ مجيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلّم بوجوده الحقيقي والأصلي كان مستحيلا أصلا، لأنّ وجوده الحقيقي يملأ الشرق والغرب، وأنّ أجنحته بالغةٌ أرجاء السماوات، فأنىّ لمكّة أو المدينة أن تتسع له؟

لو اعتقدتم بنزول جبريل في الحقيقة، وبوجوده الحقيقي لواجهتم حتمًا اعتراضًا أنّه كيف انحصر ذلك الوجود الحقيقي في حُجرة النبي صلى الله عليه وسلّم؟ وإذا قلتم بأنّ ذلك لم يكن وجوده الحقيقي، لم يبق بعد الأصل إلّا التمثُّل. ويمكن عَدُّ نزوله نزولا حقيقيًا إنْ لم يبقَ في السماء أيّ أثر لوجوده الحقيقي قط. وإذا نزل من السماء بوجوده الحقيقي، فعليكم أن تُثبتوا أين مجال قيامه وبقائه.

* معنى التأييد بروح القدس

والمراد من تأييد روح القدس هو أنّه يحيي القلوب ويُنقذها من الموت الروحاني، ويهبها كل ما هو طاهرٌ من قوى وحواس وعلم، ويوصل إلى مقام قرب الله تعالى بالعلوم اليقينية والبراهين القاطعة لأن مقرّبيه صلى الله عليه وسلم هم أولئك الذين يعلمون يقينا أنّه موجود، ويعلمون يقيناً أيضاً أنّ قدرته ورحمته وعقابه وعدله كلها حق وصدق، وهو مبدأ جميع الفيوض

ومنبع نظام العالم كلّه وعلّة العلل لسلسلة المؤثرات، بل الله القادر القدير الذي بعث هذا البشير والنذير إلى كلّ أمة وكلّ زمن وكلّ بلد، قد وضع في أتباعه الصادقين بركات أبدية، ووعد بأنّ ذلك النور وروح القدس الذي أُعطِيه صحابة ذلك الإنسان الكامل سوف يُعطَاه متَّبعوه والمخلصون الصادقون القادمون أيضا، حيث قال جلّ شأنه:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة 2-3)

* تعطيل الشياطين عن أعمالهم المخصصة يخالف سنن الله الطبيعية

/يقول المسيح الموعود عليه السلام ردًّا على رسالة ذَكَرَها في الصفحة 227 من كتابه (مرآة كمالات الإسلام)/:

لقد تبيّن بعد إعادة قراءة رسالتك أنّ هناك أمرًا يحتاج إلى مزيد من التفصيل، وهو طلبُك أن أدعوَ لتكون استخارة كل شخص بريئة من تدخّل الشيطان. فيا عزيزي إنّ مما يخالف سننَ الله الطبيعية أن يعطَّل الشياطين عن أعمالهم المخصصة لهم. يقول الله جلّ شأنه في القرآن الكريم:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

﴿حَكِيمٌ﴾ (الحج 52)

أي عندما يريد الرسول أو النبي شيئا نتيجة حماسه القلبي، فإنّ الشيطان يتدخّل فيه. ولكن الوحي المتلو، بما فيه من الشوكة والهيبة والنور التام، ينسخ هذا التدخّل ويُري مشيئةَ الله تعالى صافية ونزيهة.

* جميع أفكار وخواطر النبيّ تكون وحيًا

وهذه إشارة إلى أنّ الأفكار التي تنشأ في قلب نبيّ والخواطر التي تخطر بباله، إنما هي وحي كلها في الحقيقة، ويشهد على ذلك القرآن الكريم حيث يقول:

﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (النجم 3-4)

وإنّ أقوال النبي كلّها تدخل في عداد الوحي غير المتلو، لأنّ بركة روح القدس ونوره يحالف النبي دائما ويكون كلّ قول من أقواله مليئا ببركته، وتوضع في كلامه تلك البركة بروح القدس. فكلّ كلام يتفوه به النبي نتيجة التركيز التام وفكره الكامل يكون وحياً دون شك، والأحاديث كلّها تدخل في عداد هذا الوحي الذي يسمى الوحي غير المتلو.

يقول الله تعالى في الآية المذكورة آنفا بأنّ الشيطان يتدخل في بعض الأحيان في هذا الوحي الأدنى درجة أي في الحديث، وذلك حين تتمنى نفس النبي شيئا فيخطئ النبي في الاجتهاد. وإنّ خطأ النبي في الاجتهاد

إنما هو خطأ الوحي في الحقيقة، لأنّ النبي لا يخلو من الوحي في حال من الأحوال، بل تفنى نفسه ويكون في يد الله تعالى كأداة. فلما كان كلّ ما يصدر عن لسانه وحياً، فكلما أخطأ في الاجتهاد عُد خطأ في الوحي وليس في الاجتهاد. يقول الله تعالى في القرآن الكريم ردّا على ذلك بأنّ وحي النبي—الذي يمكن أن نسميه الاجتهاد أيضاً بتعبير آخر—يختلط بمس الشيطان وذلك حين يتمنى النبي أن يحدث كذا وكذا، ففي ذلك الحين تخطر بباله فكرة بحسب ذلك، فيعقد العزم على الثبات عليها، عندها يُنبّهُ الوحيُ الأكبر، الذي هو كلام الله والوحي المتلو والمهيمنُ، النبيّ إلى هذا الخطأ فوراً ..

* وحي الله المتلو يحظى بحماية كاملة من الملائكة ولا يقربه الشيطان

إنّ الوحي المتلو يكون نزيهاً تماماً عن تدخّل الشيطان لأنّ فيه هيبة وشوكة عظيمة ونوراً عظيماً، وهو قول ثقيل وشديد النزول أيضا، وإنّ أشعته القوية تحرق الشيطان؛ لذا يفر منه الشيطان فراراً ولا يسعه أن يقربه، ويحظى هذا الوحي بحماية كاملة من الملائكة. أما الوحي غير المتلو، الذي يدخل فيه اجتهاد النبي أيضاً، فليست فيه تلك القوة. لذا فإنّ الشيطان يتدخل أحيانا في اجتهاد نبي أو رسول عند التمنّي الذي ينشأ على سبيل الندرة في الاجتهاد، ولكنّ الوحي المتلو ينسخ هذا التدخل. فلهذا السبب قد حدث في اجتهادات الأنبياء أيضاً خطأ أحيانا، ولكنه أُزيل فيما بعد.

*** الذين يزكّون أنفسهم يتحررون من ربقة الشيطان وهم يَغلِبون . .**

ومن سلك مسالك الرحمانية ابتعد عنه الشيطان تلقائياً

فإنّ صِدق المنام وصفاءه يعتمد على حسن الطوية والصدق وطهارة صاحبه الباطنية. هذا هو قانون الطبيعة منذ القِدم الذي وصلَنا بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو أنّه لا بد للرؤى الصادقة من أن يكون صاحبها في حالة اليقظة صادقا دائما ومستقيما لوجه الله. ومما لا شك فيه أنّ الذي يسلك طبقاً لهذا القانون ويعوّد قلبه على الصدق والسلوك المستقيم تماما فستكون رؤاه صادقة. يقول الله جلّ شأنه: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾ (الشمس 9)

أي الذي يطهّر نفسه من الأفكار والنيات الباطلة، ومن الأعمال والمعتقدات الباطلة؛ يتحرر من ربقة الشيطان، وسيكون بريئاً في الآخرة من العقوبات الأخروية، ولن يتغلب عليه الشيطان. ويقول تعالى في آية أخرى:

﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ (الحجر 42)

يا أيها الشيطان لن تغلب عبادي الذين يسلكون مسالك مرضاتي. فما لم يحرّ الإنسان على عتبات الله متخلّيا عن كلّ أنواع الاعوجاج والأفكار الفاسدة والطرق السخيفة، كأن (يكون) له انسجام مع عادة من عادات

الشيطان، وبسبب هذا الانسجام يتوجّه الشيطان إليه ويسعى إليه—وما دام الحال على هذا المنوال فأيّة خطوة أستطيع أن أتخذها خلافَ نواميس الله في الطبيعة حتى يبتعد الشيطان عن منامه؟ ومن سلك مسالك الرحمانية ابتعد عنه الشيطان تلقائياً.

* فرد واحد من الملائكة يقدر بإذن ربه أن يجعل عالي الأرض سافلها

... في القرآن بشارة مدد الملائكة كي تقرّ قلوب المؤمنين، ولا تأخذهم خيفة في ذلك المأوى. فإنّه تعالى وعد في القرآن المؤمنين وبشّرهم بأنّه يُمدهم بخمسة آلاف من الملائكة، وما جعل هذا العدد الكثير إلّا بشرى لهم، لأنّ فرداً واحداً من الملائكة يقدر بإذن ربه أن يجعل عالي الأرض سافلها، فما كان ثمة حاجة إلى خمسة آلاف، بل إلى خمسة، ولكن الله شاء أن يريهم نصرة عظيمة، فاختار لفظًا يُفهَم من ظاهره كثرة المَدّين، وأراد ما أراد من المعنى. ثم نبه المؤمنين بعد فتح بدر أنّ عِدّة الملائكة ما كانت محمولة على ظاهر ألفاظها، بل كانت مؤوّلة بتأويل يعلمه الله بعلمه الأرفع والأعلى. وفعل كذلك لتطمئن قلوبهم بهذه البشرى، ويزيدهم حسن الظن والرجاء. فاستيقِظوا وانتبهوا وتقدموا لمواساة الدِّين حتى تدعو لكم الملائكة في السماء قائلين: جزاكم الله.

* على كل نفس من نفوس المخلوقات ملاكاً موكلاً يراقبها ويبقى معها

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ

كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ (الطارق 1-4)

والهدف من القَسم هنا هو البيان أنّه ما من نفس إلّا وعليها حافظٌ، بمعنى أنّ على كلّ نفس من نفوس المخلوقات ملاكاً موكلاً يراقبها ويبقى معها دائماً. وقد أورد الله تعالى هذه الآية بحصرها في كلمة "**كلّ**"، فثبت من ذلك بوضوح تام أنّ **كلّ ما يمكن أن يُطلَق عليه اسم "نفس" تحفظه الملائكة.** فبحسب هذه الآية لا بدّ من الاعتقاد—عن نفوس الكواكب أيضاً—أنّ جميع الكواكب بما فيها الشمس والقمر وزحل والمشتري تحفظها الملائكة؛ بمعنى أنّ لكلٍّ من الشمس والقمر وغيرهما ملاكاً موكلاً بها يحفظها ويدير أعمالها على أحسن وجه. هنا تنشأ عدة اعتراضات على الآية نفسها، ودَحْضُ هذه الاعتراضات واجب علينا؛ فمن جملتها أنّه **ما دام** لا يحظى بروح القدس إلّا المقرّبون الذين يصلون إلى مرتبة البقاء واللقاء فكيف يمكن أن يكون هناك حافظ على كلّ واحد؟ **فجوابه** أنّ نزول روح القدس بوجه كامل يكون على المقربين فقط، ولكن يحظى غيرهم أيضاً بتأييده إجمالا بحسب مراتب حبهم وإخلاصهم. ليس المراد من بياني المذكور إلّا أنّ كيفية التجلّي الأعلى لروح القدس هي أنّه حينما ينزل حب الله تعالى على حب الإنسان في مرتبة البقاء واللقاء يتولد هذا التجلّي الأعلى لروح القدس بالتقاء هذين الحُبّين، بحيث تكون التجليات الأخرى مقابله كالمعدوم. ولكن هذا لا يعني أنه ليس للتجليات الأخرى وجود قط.

حاشية:

ملحوظة: تؤيّد هذا المفهوم آية أخرى أيضاً وهي: ﴿**وَلَقَدْ زَيّنا السّمَاءَ الدنْيَا بِمَصَابِيح وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشيَاطِينِ**﴾ تؤيد هذا المفهومَ. ولأنّ الملائكة هي التي تَرجُم وليست النجوم، فثبت من ذلك قطعا أنّ على كلّ نجم ملاكاً موكلاً؛ ولأنّ الملائكة بمنزلة الروح للنجوم لشدة العلاقة بينها لذا نُسب فعل الملائكة إلى النجوم –فتدبر. /منه.

– ==========

* الدّاعي إلى الخير والدّاعي إلى الشّر

إنّ الله لا يضيع حبّاً خالصاً وإن كان مثقال ذرّة. إنّ حبه ينزل على حب الإنسان، وبالقدر نفسه يتولد بريق روح القدس. إنّ من سنّة الله المستمرة أنّ حب الله يظل ينزل بقدر الحبّ من الجانب الآخر. وعندما يجري بحر حُب الإنسان ينزل منه بحر آخر. وحين يلتقي البحران ينشأ فيهما نور عظيم الشأن يسمى في اصطلاحنا روح القدس. ولكن كما نرى أنّه لو وُضعت بضع غرامات من السكر في عشرين لترًا من الماء فلن نشعر بأيّ طعم للسكّر وسيبقى الماء دون مذاق، حيث لا يمكن القول إنه حلو المذاق، ولكن لا يصح في الوقت نفسه القول بأن السكّر لم يُوضع فيه. فهذا هو حال روح القدس إذ ينزل على الناقصين بصورة ناقصة، ولا شك

في نزوله على أية حال، لأنّ الإنسان الأدنى أيضاً يتوجه إلى الحسنات بتأثير روح القدس فقط. ففي بعض الأحيان يرى الفاسق والفاجر أيضاً رؤيا صادقة. وهذا كله بتأثير روح القدس كما هو ثابت من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة. ولكن هذه العلاقة ليست شيئا يُذكر، بل هي كالمعدوم مقابل علاقته العظيمة مع المقدسين والمقربين.

وثمة **سؤال** يقول: **ما دام روح القدس موكلا بمنع الإنسان من السيئات فلماذا تصدر منه الذنوب؟** ولماذا يرتكب الكفرَ والفسق والفجور؟ **فجوابه:** لقد قيّض الله تعالى **داعيَين روحانيَّين** لابتلاء الناس؛ أحدهما الداعي إلى الخير واسمه **روح القدس،** والثاني هو الداعي إلى الشر واسمه **إبليس** وكذلك **الشيطان**. وكِلاهما يدعوان إما إلى الخير أو إلى الشر، ولكنهما لا يُكرِهان على شيء، كما أُشير في الآية:

﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ (الشمس 8) أيْ أنّ الله تعالى يُلهم السيئة والحسنة أيضا. إنّ **وسيلة** إلهام السيئة هو **الشيطان** إذ يلقي في القلوب أفكاراً سيئة، ووسيلة إلهام الحسنة هو **روح القدس** إذ يلقي في القلوب أفكاراً حسنة. ولأن الله تعالى هو علّة العلل فقد نسب كلا الإلهامين لنفسه، لأنه هو الذي يدبّر كلّ ذلك، **وإلّا** فما هي حقيقة الشيطان حتى يوسوس في قلب أحد؟ وما هي حقيقة روح القدس ليهدي أحداً إلى سبل التقوى؟

إنّ معارضينا من الآريا الهندوس والبراهمة والمسيحيين يعترضون على تعليم القرآن الكريم لقصر نظرهم ويقولون بأنّ تعليمه يُثبِت أنّ الله تعالى قد قرن الشيطان بالإنسان قصداً وكأنه بنفسه يقصد إضلال خلق الله. ولكن هذا خطأ معاندينا المتسرعين. عليهم أن يعلموا أنّه ليس من تعليم القرآن الكريم أنّ الشيطان يستطيع أن يُكره أحداً على الضلال. وليس من تعليمه أنّ الشيطان وحده موكل بالدعوة إلى السيئات فقط، بل التعليم هو أنّ الإنسان قد أُعطي لمّة الملاك ولمّة الشيطان على حدّ سواء، بُغية الابتلاء والامتحان. أيْ أُعطي له الداعي إلى الخير والداعي إلى الشر ليُبتلى الإنسانُ فيستحق الثواب أو العقاب. ولو خُلقتْ للإنسان أسباب من نوع واحد كأنْ تجذبه الأسباب الخارجية والداخلية إلى الحسنات فقط، أو إذا أُعطي فطرة لا يستطيع بسببها أن يعمل شيئا سوى الأعمال الصالحة، لما كان هناك سبب لينال المرء مرتبة قربٍ كامل قط نتيجة كسبه الأعمال الصالحة، إذ يكون حائزاً على جميع الأسباب والقوى لكسب الأعمال الصالحة فقط. كذلك إذا كانت فطرته مسلوبة الرغبة في السيئ منذ البداية، فبأي حقّ سينال الثواب على اجتنابه السيئة؟

* الدوافع إلى السيئة تجعل الإنسان مستحقّا الثواب

إنّ الدوافع إلى المعصية التي تنشأ في الإنسان وتجذبه إلى السيئة هي التي تجعله مستحقا للثواب في الحقيقة؛ لأنّ الإنسان حين يهجر الدوافع إلى

المعصية خشيةً لله يستحق المديح عنده سبحانه دون شك ويُرضي ربه. أما الذي يبلغ المقام الأخير حيث تتلاشى المشاعر وكأن شيطانه قد أسلم، فإن الثوابَ يبقى، لأنه قد اجتاز مقامات الابتلاء بكل شجاعة وبسالة. وكذلك إنّ الصالح الذي يكسب أعمالا صالحة في شبابه، ينال ثواباً في شيخوخته أيضاً.

*** الله ليس بحاجة إلى الملائكة، ولولا توسط الأسباب لما وُجد في الدنيا عِلْم**

ومن جملة الاعتراضات:

- ما حاجة الله لاستخدام الملائكة؟
- هل يحتاج مُلكه أيضاً إلى العامِلِين مثل حكومات الناس؟
- وهل هو أيضاً بحاجة إلى الجنود كحاجة الإنسان إليهم؟

أما **الجواب**: فليتضح أنّ الله تعالى ليس بحاجة إلى أيّ شيء، لا إلى الملائكة ولا إلى الشمس ولا إلى القمر ولا إلى النجوم، ولكنه أراد ذلك لتظهر قدراته بواسطة الأسباب، ولكي تنتشر الحكمةُ والعلم بين الناس بهذا الأسلوب. فلولا توسط الأسباب لما وُجد في الدنيا علم الأفلاك ولا علم النجوم ولا الطبيعة ولا الطب ولا النباتات ولا غيرها من العلوم. فبفضل هذه الأسباب جاءت العلوم إلى حيّز الوجود.

ولو تفكّرتم لوجدتم أنه إذا كان يُعترض على استخدام الملائكة،

فالاعتراض نفسه يرد على استخدام الشمس والقمر والكواكب والنباتات والجمادات والعناصر أيضاً.

*** كل ذرّة تعمل بحسب مشيئة الله تعالى ولا تؤثّر فينا إلّا بإذنه، وهي نوع من الملائكة ومسخّرة لنا**

والذي يملك نصيباً من المعرفة يدرك أنّ **كل ذرّة تعمل بحسب مشيئة الله تعالى**. وكل قطرة ماء تدخل أبداننا لا يمكن أن تؤثر فيها إيجاباً أو سلبا إلّا بإذن الله تعالى. إذًا، **فجميع الذرات والكواكب وغيرها من الأشياء هي في الحقيقة نوع من الملائكة**، وهي مسخرة للخدمة ليلَ نهار؛ بعضها مسخرة لخدمة جسم الإنسان وبعضها لخدمة الروح. والله الحكيم الذي أحبّ توسط أسباب كثيرة لتربية الإنسان الجسدية وأوجد من عنده كثيرا من المؤثرات المادية كي تؤثر في جسد الإنسان بشتى الطرق، قد أحبّ الله الواحد نفسُه—الذي لا شريك له والمتّسمة أفعاله بالوحدة والاعتدال— أن يُربّي الإنسانَ روحانياً أيضاً بالأسلوب والنمط نفسه الذي اختير لتربية الجسد، وذلك كي يدلّ كلا النظامين؛ الظاهري والباطني، والروحاني والمادي—بناء على انسجامهما ووحدتهما—على خالق واحد مدبّر بإرادته.

***الملائكة وسائط لتربية الإنسان ماديّا وروحانيا، وهي مسيّرة في يد الله ولا تملك إرادة ولا تصرّفا من نفسها**

فلهذا السبب وكَّل اللهُ الملائكةَ وسائطَ على تربية الإنسان المادية، بل على التربية الروحانية أيضاً، ولكن كلّ هذه الوسائط مُسيَّرة وفي يد الله تعالى كأداة تديرها يده عزّ وجلّ المقدسة؛ فلا تملك الوسائط إرادة ولا تصرفاً. كما أنّ الهواء يدخل فينا بأمر الله ويخرج بأمره ويؤثر بإذنه، كذلك الحال تماما بالنسبة للملائكة؛ فهم: ﴿**يفَعَلُونَ مَا يؤُمَرُونَ**﴾.

على أية حال، كما بيّنتُ قبل قليل، يجب على المرء أن يحتفظ في ذاكرته بكلّ حذر فِكرةَ أنّ خلوّ المقربين من تأثير روح القدس ليس ممكناً ولا للحظة واحدة لأنّ روح القدس هو روح حياتهم الجديدة، فأنىّ لهم أن ينفصلوا عن روحهم؟ أما الانفصال الذي ذكُر في الأحاديث الشريفة وبعض الإشارات في القرآن الكريم فليس المراد منه إلّا نوع من التجلّي الذي تأخّر ظهوره في بعض الأحيان بحسب مقتضى حكمة الله تعالى. والمراد من النزول في مصطلح القرآن الكريم في أكثر الأحيان هو هذا النوع من التجلي، وإلا فهل يسعنا القول إنّ نور الوحي كان ينقطع كليّا لفترات طويلة عن **شمس الصدق** والحق الذي جاءت بحقه الآية الكريمة:

﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ (النجم 3-4)

فقد نُقل مثلا أنّ الوحي لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلّم أحيانا لمدة

أربعين يوما أو عشرين، وفي بعض الأحيان الأخرى انقطع الوحي لستين يوما أيضاً، فلو أريدَ من ذلك أنّ الملاك جبريل هجر النبي صلى الله عليه وسلّم كليّاً لهذه الفترة، لكان ذلك مدعاة لاعتراض شديد فيما لو كان الكلام الذي تكلّم به النبي عليه الصلاة والسلام أثناء هذه المدة يدخل في الأحاديث النبوية أم لا؟ وهل تُسمى وحيا غير متلو؟ ألم يرَ النّبيُ صلى الله عليه وسلّم في أثناء هذه الفترة أيَّ رؤيا—وهي بمنزلة الوحي دون أدنى شك؟!

وإذا كان الشيخ البطالوي وميانْ نذير حسين الدهلوي[1] صادقَين، وإذا كان صحيحاً أنّ جبريل كان يهجر النبي صلى اللهُ عليه وسلّم تلك الفترات التي ذكُرت، وكان النبي يُحرم من الوحي كليّاً، فلا شك أنّ، الأحاديث التي غطّت تلك الفترة لن تكون جديرة بالثقة عندهما لأنها كانت خالية من نور الوحي. كذلك إنّ سلسلة الرؤى أيضاً كانت منقطعة تماماً بحسب رأيهما.

انظروا الآن أيها المنصفون، ألم تبلغ إساءتهما للنبي صلى الله عليه وآله وسلّم منتهاها؟ يعتقدان أنّ شمس الحق[2]—ذلك الذي لم يخطر بباله شيء دون الوحي—كان يعيش في الظلام لمدة طويلة دون أن يرافقه أيّ نور، والعياذ بالله. إنني أعلم بناء على تجربتي الشخصية أنّ قدسية روح القدس

---

[1] - (شيخان عاصرا المسيح الموعود عليه السلام)

[2] - أي محمد صلى الله عليه وآله وسلّم

تعمل في كافة قوى الملهَم، وذلك في كل حين وآن، دون الانفصال عنه للحظة واحدة، ولا يستطيع الملهَم أن ينقذ نفسَه من الرجس ولو للحظة واحدة دون تأثير قدسية روح القدس. والسبب وراء الأنوار الدائمة والاستقامة الدائمة والحب الدائم والعصمة الدائمة والبركات المستديمة هو بقاء روح القدس مع الملهَمين في كلّ حين وآن. فكيف يمكن الظن بإمام المعصومين والمبارَكين وسيد المقربين أنّه كان يخلو في بعض الأحيان من تلك البركات والطهارة والأنوار كلها؟ من المؤسف حقا أنّ هؤلاء الناس يعتقدون أنّ عيسى عليه السلام لم يهجره روح القدس ولو للحظة واحدة طول اثنين وثلاثين عاماً، ولكنهم ينكرون هذا القرب بحق النبي صلى الله عليه وآله وسلّم.

* الملائكة يَحفظون البشر من الآفات المادية ولولا حفظها لما استطاع الإنسان أن يعيش لحظة واحدة

لا شك أنّ الملائكة يَحفظون من الآفات المادية أيضاً، ولكن حفظها الحقيقي هو من حيث الروحانية؛ فمثلا: إذا كان أحد واقفا تحت جدار يريد أن ينقضّ، فلن يحمله الملاك على يديه ويُبعده عنه، بل إذا كانت نجاته من الجدار مقدرة عند الله، فسيُلهِم الملاكُ قلبَه ليبتعد من ذلك المكان فوراً. أما حماية النجوم والعناصر فهي مادية.

ولما كان وجود الملائكة غير مرئي، فكيف يمكن أن يتسنّى اليقين

بحفظهم؟ لهذا السبب فقد قدّم الله تعالى الحكيم قانونه في الطبيعة الملحوظ في الأجرام السماوية شاهداً في صورة القَسم؛ وهو أنّ قانون الله تعالى في الطبيعة ملحوظ بوضوح أنّ السماء والكواكب والشمس والقمر وكل ما في محيطها من الهواء وغيره مسخّر لخدمة الإنسان الجسدية، وينقذه من أنواع الخسائر والأضرار المادية والمعاناة الجسدية، ويُعِدّ جسمَه وكلَّ ما تحتاج قواه الجسدية، وخصوصا (ما تعمله) النجوم المتلألئة التي تظهر ليلا، فإنّ كثيراً من أولئك الذين يضرِبون في الصحاري والبراري ليلاً ويمخرون في البحار يستفيدون منها كثيراً، حيث يَحفَظُ كلُّ نجم ثاقب حياة الإنسان بإرشاده في الليلة الليلاء. ولولا هذه الحَفَظَة التي تقوم بالحفظ في أوقاتها المحددة لما استطاع الإنسان أن يعيش طرفة عين.

يجب الرد بعد التأمل جيداً فيما إذا كان بالإمكان أن نعيش دون هذه الحفَظة كلّهم؛ إذ يجهّز لنا أحدُهم الحرارة المطلوبة، ويُنضِج غيرُه الغلالَ والفواكه، ويُنزل غيره مياها لشربنا، ويهيئ لنا آخر ضوءاً، ويدبّر غيرُه بقاءَ سلسلة نفَسنا جارية، ويساعِد آخر في قوة السمع، ويؤثّر غيرُه تأثيراً إيجابياً على قوتنا الغريزية. فمن هنا يدرك المرء استحالة أن يَغفل الله عن حفظنا الروحاني وهو الذي خلق هذه الأجرام والعناصر وغيرها التي تُعَدّ بالآلاف لتسوية أجسادنا وبقائها وسخّرها للخدمة ليل نهار، بل في كل لحظة. فكيف يمكننا الظن أنّ ذلك الرحيم الكريم خَلَق لحماية أجسادنا أسباباً إلى هذا الحد بحيث سخّر لخدمتنا عالَماً كاملاً، ولكن لم يفعل شيئاً

لحمايتنا الروحانية؟

لو فكّرنا بالعدل والإنصاف لوجدنا في ذلك دليلاً محكماً على أنّه لا بد أن يكون ذلك الحكيم القدير قد دبّر بلا أدنى شك لحفظنا الروحاني أيضاً تدبيرا يشبه تدبير الحفظ الجسدي: فهذا التدبير هو توكيل الملائكة على الحفظ.

لذلك أَقسَم اللهُ تعالى بالسماء والنجوم ليُبين مسألةً خفية ونظرية. أيْ مسألة حفظ الملائكة من خلال مسألة واضحة، وهي حِفظ النجوم وغيرها، وليضع أمام المتدبرين—من أجل الإيمان بوجود الملائكة—نظامه الظاهر أيْ النظام المادي؛ ليفهَم العقلُ السليمُ النظامَ الروحاني بالنظر إلى مثال النظام المادي.

* كيف ترجُم الشهبُ الشياطينَ

كان راسخا في أذهان العرب أنه عندما يُبعث نبيّ أو يولَد إنسان عظيم تسقط النجوم بكثرة، فبناءً على ذلك وتماشياً مع أفكار العرب أَقسم الله تعالى بسقوط الشهب؛ والمراد من ذلك أنكم تعترفون بأنفسكم ويعترف به كهانكم أنّه كلما سقطت الشهب بكثر كان ذلك إيذانًا ببَعث نبي أو ملهَم من الله، فما السبب لإنكاركم إذًا؟ ولأنّ سقوط الشهب بكثرة كان في نظر الكهان العرب دليلا قاطعا على إثبات بعثة نبيّ أو مُلهَم من الله، وكان العرب يتبعون الكهان كما يتبع المريدُ مرشدَه؛ لذلك قدّم الله تعالى

مُسَلّمَتَهم هذه أمامهم لينتبهوا إلى حقيقة أنّ كلّ ذلك إنما هو من عند الله، وليس من صنع الإنسان وكيده.

وإذا طُرِح **سؤال** :ما علاقة تساقط الشهب التي تبدو أسبابها كلّها مادية في الظاهر مع رجم الشياطين؟ وكيف يتبين أنّه بهذا الحادث تُدفع الشياطين وتُطرَد من السماء؟

فجوابه أنّ هذا النوع من الاعتراضات ينشأ حين يذهل فكر الإنسان عن ذكر السلسلة الروحانية، أو لا يكون عنده اليقين بهذه السلسلة، وإلّا فإنّ المطّلع على كِلْتي السلسلتين يستطيع أن يفهم بكل سهولة أنّ هناك علّتين أو سببين في الحقيقة لكلّ ما يحدث في الأجرام العلوية والأجرام السفلية وكائنات الجو كلّها من تغيّر أو تحوّل أو أي أمر مستحدَث.

أولا: سلسلة العلل المادية نفسها التي يُعنى بها ويبحث فيها الفيلسوف المادي والمعني بعلوم الطبيعة، والتي يرى الفلاسفة الماديون أنّ هناك تلازماً بين السّبب والمسبّب والمؤثِّر والمتأثّر.

ثانيا: تلك السلسلة الخافية على الفلاسفة الماديين؛ وهي سلسلة ملائكة الله التي **تؤازر** السلسلة المادية في الخفاء وتوصلها إلى غايتها المنشودة. ويفهم أصحاب النظرة الثاقبة جيداً أنّه لا يمكن أن تسير السلسلة المادية دون مؤازرة السلسلة الروحانية. ومع أنّ الفلاسفة ذوي النظرة المادية يزعمون نظراً إلى وجود الأسباب بأنّه يجب أن تظهر لهذه الأسباب نتيجة

كذا وكذا، ولكن مثل هؤلاء القوم يواجهون الندم والخجل دائماً حين تظهر النتيجة على عكس ذلك على الرغم من اجتماع الأسباب، أو تخرج تلك الأسباب عن سيطرة الإنسان وتدبيره.

* الأسباب التي وراء الأسباب

على أية حال، من الواضح والثّابت أنّ الله القادر على كل شيء لم يجعل الحوادث في العالم محصورة ومحدودة في هذه السلسلة المادية، بل أجرى إلى جانبها سلسلة روحانية أيضاً. خذوا مثلا الشمس والقمر أو الأرض أو بخار الماء الذي ينزل مطرا أو العواصف العاتية أو البَرَد الذي ينزل على الأرض أو الشهب الثاقبة التي تسقط؛ فمع أنّ كلّ هذه الأشياء مصحوبة في أعمالها وتغيراتها وتحولاتها وحدوثها بالأسباب المادية أيضاً التي قد ملأ بيانُها دفاتر علماء الفلك والطبيعة، ولكن مع كل ذلك يعرف العارفون أنّ هناك أسباباً أخرى وراء هذه الأسباب وهي التي تُدير الأمور بإرادتها، وتُسمى، بتعبير آخر، "**الملائكة**" الذين حين يُنشِئون العلاقة بشيء يوصلون أمورَه إلى منتهاها، وينتبهون دائماً في أمورهم إلى الأهداف الروحانية التي كلّفهم الله بها، ولا تكون أعمالهم لاغية، بل يهدفون في كلّ أمر إلى أهداف سامية وعظيمة.

ولما كان هذا الأمر حقيقة ثابتة—وقد تناولناه بشيء من التفصيل من قبل أيضا، كما أنّ هذا كله قد سُجّل بأسلوب لطيف جدا في كتابي

"**توضيح المرام**"، أيضا—أعني أنّ الله الحكيم القدير قد وضع نظامينِ اثنين لإدارة شؤون العالم على أحسن وجه، وأنّ النظام الباطني منهما يتعلق بالملائكة، وأنه ليست هناك جزئية من النظام المادي إلّا ويرافقها النظام الروحاني في الخفاء. ففي هذه الحالة يستطيع أن يعلم المسترشد بكل سهولة أنّ العِلَل والأسباب التي يتأسس عليها النظام المادي لسقوط الشهب الثاقبة، لا تعارض النظامَ الروحاني ولا تعرقل سبيله. والنظام الروحاني هو أنه عندما يسقط شهاب يكون عليه في الحقيقة ملاك موكل يحركه كيفما يشاء، وهذا ما يشهد عليه أسلوب حركة الشهب نفسها. ومن الواضح تماما أنّ فِعل الملاك لا يكون عبثا قطعا، بل لابد أن يكون وراءه هدف معين يفيد المصالح الدينية والدنيوية، ولكنّ فهم الأهداف وراء أفعال الملائكة ليس ممكنا إلّا بواسطة الملائكة. فبواسطة الملائكة، أيْ جبريل، قد كُشف على آخر الرسل صلى الله عليه وآله وسلّم أنّ الغاية المتوخاة من فعل الملائكة هذا—أيْ رمي الشهب؛ هي رجم الشياطين.

* كيف تهرب الشياطين بتساقط الشهب

أما كيف تهرب الشياطين بسقوط الشهب، فإن سرّه يُكشف عند التأمل في السلسلة الروحانية؛ وهو أنّ بين الشياطين والملائكة عداوة طبعية. فالملائكة، عند إطلاقهم الشهب—التي يُلقون عليها تأثير حرارة النجوم—ينشرون في الجوّ قوتهم الروحانية، وكلما تحرك شهاب رافقه نور ملائكي؛ لأنه يأتي نائلا البركة من يد الملائكة، وفيه قوة لحرق الشيطان.

*** إنّ تضرر الجِنّة برمي الشهب ليس سببه النار المادية، بل النور الملائكي**

فلا يمكن الاعتراض بالقول إنّه ما دامت الجِنّة قد خُلقت من النار فأيّ ضرر يصيبها من النار؟ لأن الحقيقة أنّ تضرر الجِنّة برمي الشهب ليس سببه النار المادية، بل النور الملائكي الذي يرافق الشهب، وهو محرق للشياطين بطبيعته.

ولا يعترضنّ أحد على بياني هذا ويقول بأنّ هذا البيان كله من قبيل الأفكار التي يعوزها الدليل، وليس—على أكثر تقدير—إلّا من قسم الخطابات التي ليس عليها دليل عقلي، لأني قد أثبت جيداً أنّ حركات هذا العالم وحوادثها ليست من تلقاء نفسها، وليست بغير مشيئة المالك وليست عبثية وسخيفة، بل إنّ الأجرام العلوية مسخّرة من قِبل الله في الخفاء كمدبرة للأجسام السفلية، وتسمى "**الملائكة**" بتعبير آخر. وما دام المرء مؤمناً بوجود الله تعالى وليس ملحداً، فلا يسعه إلّا أن يقبل بأنّ كل هذا النظام ليس عبثا، بل إنّ يد حكمة الله ومصلحته المدبّرة بالإرادة تعمل وراء كل حدوث وظهور، وتلك الإرادة تظهر بحسب النظام المتكامل بواسطة الأسباب؛ لأنّ الله تعالى لم يهب الأجرام والأجسام المادية علماً وشعوراً، لذا هناك حاجة لوساطة الأشياء التي أُعطيت علما وشعوراً—وهي الملائكة—لإنجاز الأمور التي يقتضي إنجازُها العلم والشعور.

* الملائكة لا يعملون شيئًا إلاّ لأغراض ومقاصد معيّنة

ومعلوم أنّه ما دام شأن الملائكة أنهم لا يعملون شيئاً عبثًا ولغواً، بل إنّ خدماتهم تضم في طياتها أغراضاً ومقاصد معينة، لذا فلا بدّ من الإقرار أنّ لهم غاية متوخاة حتمًا من خدمة الرجم أيضا. ولما كان العقل عاجزا عن إدراك تلك الغاية، لذا ليس مناسبا أن يُسأل العقلُ عن هذه المعضلة. إذا كان للعقل في ذلك دخلٌ أصلا فإنما هو أنّ العقل السليم لا يقبل قطعا أن تكون أعمال النفوس ذات الإرادة والفهم والشعور عبثا ولغوا وخالية من الأهداف السليمة والضرورية.

فلو فهم العقلُ السليم جيدا أولا أنّ ما يحدث في الأجرام والأجسام السماوية والأرضية وكائنات الجو—من أنواع التغيرات والتحولات والظهورات ليس مقصورا على العلل المادية، بل إنّ لكل تلك الأحداث عللٌ أخرى أيضاً تملك شعورا وإرادة وفهما وتخطيطا وحكمة—لأقرّ حتما، بعد هذا الفهم، بأنّ كافّة التغيرات والتحولات والأحداث التي نراها في العالَمين "السفلي، والعلوي" ليست عبثا ولغوا، بل تكمن فيها أهداف وأغراض، سواء أفهمناها أو فاقت عقلَنا وفَهْمِنا. وضمن هذا الإقرار سوف يضطر العقل السليم للإقرار بأنّ تساقط الشهب أيضاً ليس أمرًا عبثيا، لأنه من المحال بالبداهة الظن أنّ النفوس ذات الإرادة والفهم والتخطيط والحكمة ظلت مُصرة على عمل لغوٍ منذ البداية. إنّ العقل،

وإن لم يستطع أن يكشف هذا السّر كاملا، سوف يكتشف على الأقل، بعد الإقرار بوجود الملائكة وخدماتها الموكولة إليها، أنّه لا يمكن عدّ أي عمل من أعمالها عبثا أو لغوا.

وإن لم يستطع العقل—بعد هذا الإقرار—أنّ يكتشف، بتفصيلٍ، الأهدافَ التي تكمن في إرادة الملائكة وضميرها من خلال إسقاط الشهب، إلّا أنه سيفهم إجمالا حتما أنّ لهذا الفعل أيضاً أهدافاً وأغراضاً خَفيّة مثل بقية أفعال الملائكة. فلما كان العقل عاجزاً عن إدراك هذا الأمر مفصّلا فسيكون إدراك هذا التفصيل بحاجة إلى وسيلة أخرى تفوق حدوده، وتلك الوسيلة هي الوحي والإلهام التي أُعطِيها الإنسان للغرض نفسه لكي توصله إلى تلك المعارف والحقائق التي لا يمكن أن يوصِله إليها العقل وحده، وأن تكشف عليه تلك الأسرارَ الدقيقة التي لا يمكن اكتشافُها بالعقل.

* الملائكة تحرق الشياطين بنورها وليس بنار الشهب

وقصدي من الوحي هنا هو وحي القرآن الذي كَشف لنا سرّاً، وهو أنّ غرض الملائكة من إسقاط الشهب هو رجم الشياطين؛ بمعنى أنّ هذا نوع من انتشار النور الذي يحدث بيد الملائكة مقروناً بنورهم الذي يؤثر على ظلمة الجِنّة وتضمحلّ بسببه أفعالُ الجِنّة الخاصّة. وإذا كثُر انتشار هذا النور فبسبب الجذب المغناطيسي للنّور حيث يُخلَق من الناس مظاهرُ كمّل

للنور. وإلّا فإنّ انتشار هذا النور—بسبب خاصّيته الملائكية—يجذب القلوبَ إلى حدٍّ ما إلى النور والحق. وهذه خاصية تَثبت في العالم دائماً كدليل "**إنّ**"[1]، وتوجد في آلاف الأشياء في العالم خواصّ تفوق فَهْم الإنسان ولا يستطيع أن يقيم عليها دليلا عقلياً ولا يسعه إنكارها أيضا؛ فإنكار هذه الخاصية الثابتة بناءً على أنّ العقل عاجز عن فهمها، ليس إلّا غباوة محضة. هل أحاط عقل الإنسان من حيث الأدلة العقلية بجميع الخواص الدقيقة التي توجد في الأجسام والأجرام حتى يحقّ له أن يعترض ويقول: لماذا لا يستطيع العقل أن يكشف سرّ انتشار النور الذي يُنسَب إلى تساقط الشهب؟

وكما قلتُ قبل قليل، ليس صحيحاً أيضاً أنّ العقل مُكرَه تماما على التسليم بهذا السر، بل يسلّم العقل البشري بهذا السّر بقدر ما يملك من قوة الفهم ولا ينكره، لأنّ العقل السليم يضطر للاعتراف—بعد التسليم بوجود الملائكة والمهام الموكولة إليهم بأنّ تَساقط الشهب أيضاً يحدث بواسطة الملائكة، وأنّ الملائكة يُنجزون هذا العمل بأمر من الله تعالى لهدف وغرض معين. إذاً، فإنّ تسليم العقل السليم بهذا القدر هو بمنزلة مرقاةٍ لارتقائه، ولا شك في أنّه بعد التسليم بهذا القدر لن يَعُدّ العقلُ السليم تَساقطَ الشهب أمراً عبثياً كما ترى عقول الملحدين والطبيعيين الناقصة، بل سيميل إلى الإقرار الكامل بأنّ هذا العمل مبنيّ على الحكمة

[1] – *الدليل الـ "إنّ" في علم المنطق هو الدّليل الذ يُستدلّ به من المعلول على العلّة. (المترجم)*

في الحقيقة وتكمن فيه أهداف سامية. وبهذا القدر من العلم يحرص العقل السليم على أن يطّلع على هذه الأهداف السامية اطّلاعا مفصّلًا. وهذا الحرص وهذه اللهفة الصادقة، هما اللذان يقودانه، على جناح الشوق، إلى المرشد الكامل، وهو وحي القرآن الكريم.

* لا يستقيم ملكوت الله إلاّ إذا تَبِعَتْه كلّ ذرة من ذرات العالم

وإذا كان للعقل السليم أيّ نقاش أو نَقدٍ فلا يسعه ذلك، في هذا المقام على الأقل، من أجل اليقين بهذه المسائل، غير أنّه مما لا شك فيه أنّه له الحق أن يطلب أولا الأدلة المقنعة على وجود الله الذي لا يستقيم ملكوته إلّا إذا تَبِعَتْه كلّ ذرة من ذرات العالم، ثم على وجود الملائكة ومهماتهم؛ أي يمكن أن يطمئن، على وجه أكمل، بأنّ نظام الله في الحقيقة إنما هو أنّ ما هو حادث في الأجرام والأجسام وكائنات الجوّ أو يحدث بين حين وآخر لا يحدث نتيجة أفعال الأجرام والأجسام الفوضوية، بل قد وضع الله الحكيم القدير زمام كل هذه الأحداث في أيدي الملائكة الذين يقومون، في كل طرفة عين، بأنواع التصرفات بإذن ذلك القادر على كلّ شيء، ويهزّون الأرض والسماء بشتى الطرق، لا عبثًا، بل بحكمة كاملة، من أجل الأهداف السامية، ولا يخلو فعل من أفعالهم من الفائدة والحكمة.

* نحتاج إلى مساعدات خارجية لتكميل كافة حواسنا وقوانا وقدراتنا

لقد ناقشنا إلى حدّ ما وجود الملائكة وخدماتهم في ذلك الكتاب، وتفصيل ذلك أنّ السبيل الأسهل والأقرب للاعتراف بوجود الملائكة هو أن نوجّه عقولنا إلى أنه من المحتوم والمحسوم أنّ الله تعالى قد وضع—من أجل تربية أجسامنا وتكميلها المادي وقيام حواسنا المادية بالأفعال المطلوبة كما ينبغي—قانونًا في الطبيعة بأنْ سَخّر شتى العناصر والشمس والقمر والنجوم كلها في خدمة إعانة أجسامنا وقوانا لتصدر منها جُلّ أعمالها بوجه أحسن. ولا نستطيع أن نهرب من قبول حقيقة أنّ أعيننا، على سبيل المثال، لا تستطيع أن تُنجز أيّ شيء بنورها الذاتي ما لم يحالفها ضوء الشمس، ولا يمكن لآذاننا أن تسمع شيئا بقوتها الذاتية ما لم يُعنها الهواء المحمّل بالصوت. أفلا يثبت من ذلك أنّ قانون الله تعالى قد جعل اكتمال قوانا متوقفا على الأسباب الخارجية، وأنه لا يسع فطرتنا أن تستغني عن مساعدة تلك الأسباب الخارجية؟ ولو تأملتم في الموضوع لوجدتم أننا نحتاج إلى مساعدات خارجية لتكميل كافة حواسنا وجميع قوانا وجُلّ قدراتنا وليس لتكميل حاسة أو حاستين أو قوة أو قوتين.

فإذا كان هذا القانون والنظام لله الواحد، الذي لا شريك له، الذي توجد الوحدةُ والاعتدال في كافة أفعاله، موجوداً بكل شدّة وإحكام وكمال التزام من أجل تكميل قوانا وحواسنا الخارجية وأهدافنا المادية؛ أفليس ضرورياً أن يكون هذا النظام نفسه موجوداً لتكميلنا الروحاني

وأهدافنا الروحانية أيضاً لكي يجري كِلا النظامين على نمط واحد ويدلّا على خالق واحد؟ ومن البديهي أنّ الحكيم القدير الذي وضع هذا الأساس للنظام المادي وأحبّ أن تكتمل أجسامنا المادية وقوانا وحواسنا تحت تأثير الأجرام السماوية والعناصر وغيرها من الأسباب الخارجية، قد أحب ذلك الحكيم القدير نفسُه النظامَ نفسَه لروحانيتنا أيضاً، لأنه واحد لا شريك له، وفي حكمه وأعماله الوحدةُ والاعتدال. وتدلّ الدّلائل **"الإنّية"** أيضاً على الأمر نفسه؛ فالكائنات الخارجية التي تؤثر على روحانيتنا وتُنجز أهدافنا الروحانية—كالشمس والقمر والعناصر التي تساعدنا على أهدافنا المادية—نسميها الملائكة.

فمن هذا البيان يثبت وجود الملائكة بوجه أحسن، وإن لم يُكشَف علينا كنهها؛ كما أنّ ذلك ليس ضروريا أصلا. ولكننا مضطرون للاعتراف بوجودها بإلقاء النظر مجملًا على توافق النواميس الكونية واتحادها—ذلك أننا اعترفنا بالقانون المادي بطيب خاطر، فما السبب إذًا إلّا نعترف بالقانون الروحاني على النمط والمنوال نفسه؟

* قانون النظام الباطني في مقابل النظام الظاهري

لا شك في أنّه لا مندوحة لنا من قبول النظام الباطني أيضاً كما قبلنا النظام الظاهري تماما. فبناء على هذا السرّ نفسه قد ذكر الله تعالى في بعض الأماكن في كتابه العزيز هذين القانونينِ كليهما بكلمات مشتركة،

حيث يقول:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ (الذاريات 1-4)

أيْ أُقسِم بالرياح التي تَفصل بخار الماء من البحار والمياه الأخرى كما هو حقّ الفصل، ثم أقسم بالرياح التي تحمل في ثناياها البخار الثقيل مثل الحوامل، ثم أقسم بالرياح التي تجري لتوصل السحب إلى غايتها المتوخاة، ثم أُقسم بالملائكة الذين هم القائمون على إنجاز كل هذه الأعمال في الخفاء. أيْ ما أهمية الرياح، وما حقيقتها حتى تحمل من تلقائها بخار الماء من البحار وتحوله إلى سحاب، ثم تُمطره في المحل المناسب وفي وقت الضرورة تماما، وتكون مقسّمات الأمور؟ كلا، بل هذا عمل الملائكة في الخفاء. ففي هذه الآيات قد ذكر الله تعالى، أولا سبب نزول المطر من السحاب كما يبينه الفلاسفة الماديون، ثم بيّن كيف يتحول الماء إلى بخار فسحاب. ثم في الآية الأخيرة: ﴿**فَالْمُقسمَاتِ أَمْرًا**﴾ كشف الحقيقة وبيّن أنه يجب ألّا يَظن من ينظر بنظرة ظاهرية فقط بأنّ سلسلة العلل والمعلولات المادية تكفي لإدارة النظام الرباني، بل وراء السلسلة المادية هناك سلسلة أخرى لِلعِلَل الروحانية التي تعمل عملها وبسببها تجري السلسلة المادية.

ثم يقول سبحانه في آيات أخرى:

﴿**وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا**﴾ (المرسلات 1-5)

أيْ أُقسم بالرياح والملائكة الذين أُرسلوا بلينٍ ويُسرٍ. ثم أقسم بالرياح والملائكة الذين يمشون بقوة وشدة. وأُقسم بالرياح التي تحمل السحاب، وأقسم بالملائكة الذين وُكّلوا بذلك السحاب. وأقسم بالرياح التي تحمل إلى الآذان كل ما يُذكَر أثناء الكلام. وأقسم بالملائكة الذين يبلّغون كلام الله إلى القلوب. وفي الآية: ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾ (النازعات 5)

جَمَعَ اللهُ الملائكةَ والنجوم في مكان واحد؛ بمعنى أنّه في هذه الآية عَدّ الكواكب السبعة مدبِّرة ما في الأرض ظاهريًا، وعَدّ الملائكة مدبّريها باطنياً. وهاتان الروايتان مذكورتان في تفسير فتح البيان عن معاذ بن جبل والقشيري .وقد روى ابن كثير عن الحسن أن "**الملائكة: تدبّر الأمر من السماء إلى الأرض**" ويقول ابن كثير:

القول المتفق عليه هو أنّ مدبّرات الأمر هي الملائكة. وقال ابن جرير أيضاً في شرح الآية: ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾: أنّ المراد منها هو الملائكة الذين هم مدبّرات العالم أيْ أنّ النجوم والشمس والقمر والعناصر وغيرها عاكفة على عملها، ولكن المدبّرات هم الملائكة في الحقيقة.

الآن، وقد ثبت بجلاء، بحسب قانون الله في الطبيعة، أنّ هناك مؤثرات خارجية للنظام الروحي أيضاً مثل النظام المادي، وقد سُمِّيت في كلام الله

بالملائكة، فبقي الإثبات أنّ كلّ ما يحدث في النظام الظاهري أيضاً من أعمال وتغيّرات لا يتم ولا يُنجَز بغير اشتراك الملائكة. إنّ إثبات ذلك واضح من حيث المنقول، لأنّ الله تعالى قد سمّى الملائكة "**المدبّرات**" و"**المقسّمات أمرًا**"، وهم السبب وراء حدوث كل عَرض وجَوهر وقيامِهِما لدرجة أنهم هم الذين يحملون عرش الله تعالى.

* يوم القيامة تنتقل الملائكة إلى الأرجاء تاركة جميع العلاقات وتخرج من السماء والأجرام خروج الروح من الجسد

كما يثبت بكل وضوح توكيل الملائكة بكل شيء من الآية: ﴿**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾ (الطارق 4) ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ**﴾ (الحاقة 16-17)

أيْ ستنشقّ السماء يوم القيامة وتكون واهية ومتراخية وستزول قواها لأنّ الملائكة، التي كانت كالروح للسماء والأجرام السماوية، ستنتقل إلى "**الأرجاء**" تاركة جميع العلاقات. وفي ذلك اليوم يحمل ثمانية ملائكة عرش الله تعالى على رؤوسهم وأكتافهم.

يقول الشاه عبد العزيز في تفسير هذه الآية ما مفاده: الحقّ أنّ بقاء السماء إنما هو بسبب الأرواح، أي الملائكة الذين هم بمنزلة الأرواح

للسماء والأجرام السماوية. وكما تحافظ الروح على الجسد وتتحكم فيه، كذلك يتحكم بعض الملائكة في السماء والأجرام السماوية، وإنّ جميع الأجرام السماوية قائمة بسببها، وبواسطتها تصدر أفعال الكواكب. وعندما يخرج الملائكة من ذلك القالب خروج الروح يفسد بخروجهم نظام السماء، كما يفسد نظام القالب بخروج الروح منه.

وهناك آية أخرى أيضاً في القرآن الكريم تدلّ على الموضوع نفسه وهي: ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ**﴾ الملك

*** الملائكة بمنزلة الروح للنجوم والقوى السماوية وهي تُسيّر الشهب بنورها**

ولقد أثبتنا من النص القرآني أنّ الملائكة هم المقسِّمون والمدبِّرون لكلّ أمرٍ من السماء إلى الأرض، أما قول الله جلّ شأنُه هذا بأنّ النجوم التي تُسيّر الشهب الثاقبة هي تلك التي في السماء الدنيا، فيبدو منافياً لهذه الآيات عن الملائكة ومتناقضا معها، ولكن لو تأمّلنا في الموضوع لوجدنا أنه ليس منافياً ولا مناقضاً؛ لأننا قد أثبتنا قبل قليل أنّه يتبين من تعليم القرآن الكريم أنّ الملائكة بمنزلة الروح للسماء وأجرامها. والمعلوم أنّ روح الشيء لا تنفصل عنه، لذلك فقد عَدّ اللهُ سبحانه في بعض آيات القرآن الكريم الملائكةَ فاعلاً لفعل رمي الشهب، وفي بعض الآيات الأخرى عَدّ النجومَ فاعلاً لفعل الرمي، ذلك لأنّ الملائكة يُلقون بتأثيرهم في النجوم كما تُلقي الروح بتأثيرها في الجسد. وعندها يخرج ذلك التأثير عن النجوم

ويقع على الأبخرة الأرضية الجديرة بأن تكون شُهبًا، فتشتعل فوراً بقدرة الله تعالى، فينشئ الملائكةُ علاقتهم مع الشهب الثاقبة بأسلوب آخر حيث يسيّرونها **بنورهم** يميناً ويساراً. ولا يمكن لأيّ فيلسوف أن يعترض على أنّ النجوم والتأثيرات السماوية هي العلل الأولى لكل ما يحدث في كائنات الجوّ أو في الأرض. غير أنّه لا يقدر كلّ شخص أن يدرك هذا السرّ الدقيق الآخر؛ أعني أنّ قوى النجوم مستفادة من الملائكة. هذا السر قد كشفه القرآن الكريم أول مرة، ثم توجّه إليه أهل العرفان. فزبدة الكلام أنّه يتبيّن من هذه الآية أيضاً من حيث المنقول أنّ الملائكة بمنزلة الروح للنجوم والقوى السماوية، لذلك نَسَب الله تعالى فِعْل النجوم إلى الملائكة تارة، ونسب فعل الملائكة إلى النجوم تارة أخرى.

* إذا انتقل الملائكة إلى "الأرجاء" أصاب الموتُ جميعَ الأجرام

والحقّ أنه ما فتئت الملائكة بمنزلة الروح للنجوم والشمس والقمر والسماء بحسب تعليم القرآن الكريم، وبقاء كلّ هذه الأشياء يتوقف على علاقتها بالملائكة، وإذا انتقل الملائكة إلى "**الأرجاء**" أصاب الموتُ جميعَ الأجرام، أي النجوم والشمس والقمر والسماء، أفليسوا بمنزلة الروح والحالة هذه؟

إنني أتأسف جداً على حالة هؤلاء المشايخ الذين يقرأون هذه الآيات القرآنية الواضحة ومع ذلك يترددون في قبول أنّ للملائكة، بل لبعض الملائكة الذين هم عنصريون علاقة قوية بالعناصر والأجرام السماوية علاقة

الروح مع القوالب. صحيح أنه ثابت أيضاً من القرآن الكريم أنّ للملائكة وجودا مستقلا في السماء، ولكن ألا يثبت أيضاً من الكتاب العزيز نفسه أنّ علاقة الملائكة بكل من الأجرام السماوية هي علاقة الحفظ، وكل نجم بحاجة إلى تأييد الملائكة من أجل بقائه وقيامه وصدور الأفعال منه.

من المؤسف حقا أنّ هؤلاء القوم الذين يسمّون أنفسهم مشايخ نشيطون جداً في تكفير المسلمين، ولكن لا يتدبرون تعاليم القرآن الكريم المباركة والحكيمة ولا يتعمّقون فيها؛ فأنىّ لهم أن ينجحوا في فهم الحق والصدق؟ وهم لا يقدّرون القرآن الكريم أدنى قدر، بل يحسبونه مجموعة أفكار سطحية، والعياذ بالله، ويجهلون قدراته العليا وحِكمه العظيمة وأسراره الدقيقة.

* الله يستخدم كلّ شيء لعَمَلٍ أُعطِي ذلك الشيء قوى مناسبة لإنجازه

لقد أثبتنا ذلك من حيث المنقول، أما الإثبات من حيث المعقول بأنّ كلّ الأمور الخيّرة التي تحدث في النظام المادي إنما تحدث وتصدر بأعمال الملائكة الخفية في الحقيقة، فهو يتبين من التدبّر في أنّ الله جلّ شأنه يستخدم كلّ شيء لعَمَلٍ أُعطِي ذلك الشيء قوى مناسبة لإنجازه. إذًا، إنها فكرة غير معقولة البتة الظن أنّ كلّ تَغيُّر يظهر للعيان في الأجرام السماوية وفي الفضاء إنما هو نتيجة الأسباب الطبيعية والخارجية فقط، وأنه لا حاجة لسبب روحاني قط، لأنه **لو** حدثت التغيّرات في الأجرام

السماوية، وحدثت الحوادث في كائنات الجوّ (التي فيها حِكَم عظيمة وتدعم وتعين بقاء بني آدم وتحفظ صحتهم وتسدّ حاجات حياتهم—بشرط ألّا يكون فيها إفراط ولا تفريط—من تلقائها دون أن يكون فيها دخلٌ للأشياء التي لديها شعور، وتستطيع أن تراعي الإرادة والفهم والمصلحة والاعتدال، **ولو** تُركت جُلّ أمور الحياة، والبقاء وحاجات الحياة على الأشياء التي لا تشعر ولا تدرك ولا تعرف مصلحة الوقت ولا تستطيع أن تحفظ أفعالها من الإفراط والتفريط، ولا تقدر على التمييز بين إنسان صالح وطالح حتى تُعامِل كُلًّا منهما معاملة مناسبة بحسب مقتضى الأمر؛ **لأظلمت** الدنيا ولاستحالت معرفة الخالق الحكيم والقدير والعادل والرحيم والكريم، **ولما** استمرت سلسلة ذوي الأرواح الساكنة على الأرض لحظةً واحدة، بل **لواجَه** العالم مع لوازمه كلها صدمة نهايته. فأيّ دليل أوضح وأجلى من أنه لا يوجد في السلسلة السماوية وكائنات الجوّ أيّ فساد أو فوضى—كان لا بد أن يكونا لو كان مدار هذا النظام على الأشياء التي لا حياة فيها ولا شعور؟

إنّ نور هذا الدليل يهبنا بصيرةً لإدراك وجود الملائكة وضرورتهم وكأننا نراهم بأم أعيننا.

* هناك في الخفاء أشياء أخرى أُعطِيتْ عقلا لوضع الشيء في محله، وهي الملائكة بعينها

أما إذا عَرض أحدٌ ما هنا شبهةً يسأل فيها أنه لماذا لا يعمل كلّ شيء بمجرد أمرٍ من الله وإذنه وبتدبير محكم بحسب ما تقتضيه مشيئة الله جلّ شأنه ودون توسط الملائكة؟ فإنّ مثل هذه الشبهة ناتجة في الحقيقة عن سوء الفهم، لأننا كتبنا قبل قليل بأنّه من الثابت المتحقق أنّ **الأجرام العلوية والعناصر وكائنات الجوّ** التي جُعلت خادمة لبقائنا وحياتنا ومعيشتنا **لا تملك** علماً ولا شعوراً ولا إرادة، فمن المحال بالبداهة أن تتحقق لنا من تغيّراتها وأحداثها فقط تلك الأعمالُ والأهداف والمقاصد التي لا تصدر إلّا عن تصرفات **العقل والتعديل والتخطيط ومراعاة الحكمة**. والحق أنّ الله تعالى عندما يريد أن يستخدم شيئاً وسيلة لعملٍ ما، فإنه يزوّده بقوى تناسب جميع المصالح المتعلقة بذلك العمل؛ فمثلاً مِن أفعاله المطرُ الذي نحتاجه لتحقيق شتى الأغراض، فينزّله تعالى أحياناً في وقت مناسب تماماً بحسب أعمال عباده، وينقذ أراضينا وصحتنا من أضرار إفراطه أو تفريطه، وأحيانا أخرى يريد تحذير الناس فيُمسك المطر عن بلد يشاؤه، أو يجعل فيه إفراطا أو تفريطا. وتارة يريد أن يعاقب بعض الناس في بلد أو مدينة أو قرية أو قطعة أرض معينة فيحرمها من منفعة المطر كليّاً، وينشر السحاب في الجوّ بقدر ما يشاء لدرجة أن يهطل المطر

على مزرعة ولا تسقط قطرة واحدة على مزرعة متصلة بها، فتبقى جافّة ومحترقة في حر الشمس القوية. كذلك إنّ فساد الريح يجلب الوباء الشديد على مدينة أو ولاية أو حارة معينة، ويُنقِذ الجانبَ الآخر كليّاً. فعلى هذا المنوال نرى آلاف الحِكَم الربانية الدقيقة التي لا نستطيع أن ننسبها قط إلى عناصر وأجرام لا تعقل، بل نعرف يقينا أنّ **هذه الأعمال المليئة بالحِكَم لا يمكن أن تنجزها قط الأجرام والعناصر وكائنات الجوّ الأخرى التي لا حياة فيها ولا شعور**. ولا شك أنّ الله تعالى قادر على أن يستخدم كل هذه الأشياء لإنجاز الأعمال المذكورة، ولكنه لو فعل ذلك لوهب أولا تلك الأشياء فهماً وإدراكاً وإحساساً وشعوراً وعقلاً لِوضْع الشيء في محله. وما دام ذلك غير ثابت فثبت بالضرورة أنّ **مع هذه الأشياء هناك في الخفاء أشياء أخرى أُعطِيتْ عقلا لوضع الشيء في محله، وهي الملائكة بعينها**.

أَعلَم أنّ الذي يؤمن بالله تعالى ويعُدّه رحيماً وكريماً ومدبّراً وعادلًا لن يقول بأنّ ذلك الحكيم الكريم قد وضع نظام ربوبيته كله في أيدي وسائل لم تُعطَ قدرة على التمييز بين الصالح والطالح، ولم توهَب قوى للتدبير والتعديل وإدراك المصلحة. أما التابع لمذهب الطبيعة والملحد الذي ينكر وجود الله تعالى فسيقول ذلك حتمًا، وسيقول أيضاً، بناءً على غفلته، بأنّ الذي يظهر من الأجرام السماوية أو العناصر أو كائنات الجو فليس وِفق الحكمة والمصلحة، وبأنّ الله ليس موجوداً لنؤمن به عاملا بالحكمة

والمصلحة، بل يصيب الإنسانَ خيرٌ أحياناً أو شرٌ أحياناً أخرى على سبيل المصادفة نتيجة الأحداث والتغيّرات الحادثة في الأجرام العلوية والسفلية. فلإقناعه هناك طريق آخر سديد جداً يُفحمه بسرعة؛ وهو أنّ أفعال الله العظيمة والنبوءات التي تضم في طياتها قوة ربانية ويُعطاها الملهَمون والواصلون إلى الله تعالى، تدل على وجود الله جلّ شأنه وصفاته الكاملة الجميلة الجليلة دلالة قوية وقطعية ويقينية. ولكن الأسف كلّ الأسف على أنّ الذين يبحثون في العالم عن الله بصدق القلب وهم جياع وعطاشى لمعرفة سبله عزّ وجلّ هم قلةٌ قليلة، بينما يملأ العالَمَ أولئك الذين لا يسمعون دعوة الدّاع ولا يتوجّهون إلى نداء المنادي ولا يفتحون عيونهم على صراخ الموقظ.

لقد دعَونا كلَّ معارض—بفضل الله تعالى وتوفيقه وإذنه—لتصديق هذا الأمر، ولكن لم يتوجّه إلينا أحدٌ بصدق القلب والطلب الصادق. ولو توجّه أحد، أو يتوجه الآن أيضا؛ فإنّ ذلك الإله الحي—الذي قدراته ظلت تحيّر العاقلين دائماً، ذلك القادر والقيوم الذي ظل يُفحم الفلاسفة في هذا العالم—سيقيم عليه الحجة بنور سماوي حتمًا. إنّ الفساد الأكبر في العالم، الذي يؤدي إلى الأفعال الشنيعة ولا يسمح لأصحابها أن يرفعوا بصرهم إلى الآخرة، هو أنّ معظم الناس لا يؤمنون بالله كما هو حقه؛ فبعضهم يرفضون في هذا العصر وجود الله رفضًا سافرًا، وبعضهم يقرّون بوجوده باللسان ولكن أعمالهم وأفكارهم وجوارحهم تشهد بأنهم لا يؤمنون

بالله جلّ شأنه، بل هم مشغولون في المشاغل الدنيوية ليل نهار، وكأنهم لا يذكرون الموت نهائيا. وسبب ذلك أيضاً عائد إلى الظلام المخيم على قلوب أكثرهم، ولم تبق فيها أدنى ذرة من نور المعرفة.

* الإنسان عالَم صغير ويحتوي على كافة شؤون العالم الكبير وصفاته وخواصه وكيفياته

فليكن معلوماً أنّ الإنسان عالَم صغير ويحتوي على كافة شؤون العالم الكبير وصفاته وخواصه وكيفياته، كما يتبين من قدراته وقواه أنه يستطيع أن يُظهر نموذجا لقدرة كل شيء؛ إذ يملك الضوء مثل الشمس، والنور مثل القمر، والظلام مثل الليل، **ويمكن أن يكون منشأ آلاف الإرادات الطيبة والسيئة** أيضاً، وهو يقدر على النمو مثل الأشجار ويجذب إليه كل شيء بقوته الجاذبة. وكذلك يثبُت كونه عالَما صغيراً من وجه آخر أيضاً وهو أنّه يجد كلّ شيء بداخله مثل العالم الكبير عند كشوفه الصادقة ورؤاه الصالحة؛ فيرى القمر في كشوفه ورؤاه أحياناً، ويرى الشمس والنجوم أحياناً أخرى، وتارة يرى أنهاراً من شتى الأنواع، ويرى الحدائقَ والنار والهواء وغيرها من الأشياء. والأغرب من ذلك أنه يرى نفسه أحيانا في رؤاه الصالحة وكشوفه الصادقة كأنه صار شمساً أو قمراً بنفسه، أو كأنه صار أرضاً فيها آلاف البلاد. يتبيّن من هذه الأدلة أنّ الإنسان، عالَم صغير، يملك في نفسه كل نموذج للعالم الكبير.

فإذا تعذّر فهمُ سرٍّ خفيّ من العجائب الدقيقة للعالَم الكبير، فالطريق الأمثل هو أن يرجع المرء إلى العالم الصغير للاطلاع على ما يشهد عليه في هذا الأمر، لأنّ كِلا هذين العالَمين كالمرايا المتقابلة. والعالم الذي رأيناه بجزئياته يمكننا أن نجعله معياراً لتشخيص عالم آخر. ولا شكّ في أنّ شهادته يمكن أن تكون مدعاة لاطمئناننا. أما الآن وقد مُهّد هذا التمهيد، فمن الأحسن القول بأنّ علاقة الملائكة بالأجرام العلوية والأجسام السفلية كعلاقة القوى النفسية والحِسّية بجسد الإنسان، لأنه كما أنّ نفس الإنسان تدبّر شئون جسم الإنسان بواسطة القوى الروحانية والحِسية، كذلك يدبّر قيومُ العالم—الذي هو كالنفس المدّبرة لبقاء العالم كلّه وقيامه، وهو نور حياته بحكم الآية: ﴿**اللهُ نُورُ السمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾—العالمَ الكبير بواسطة الملائكة، كما تقوم نفسُ الإنسان بتدبير جسده بواسطة القوى النفسية والحسّية. ولا يسعنا إلّا القبول بأنّ كل ما ثبت في العالم الصغير من نظام الله الأحد الذي لا شريك له، يشبهه نظام آخر في العالم الكبير أيضاً، لأنّ كِلا النظامين صادر من الذات نفسه. والحق أنّه من مقتضى ذلك الواحد الذي لا شريك له، أن يكوّن كِلا النظامين على شكلٍ ونمط واحد ليدُلّا معًا على خالق وصانع واحد. فوحدة النظام تؤيد توحيد البارئ عزّ اسمه، لأننا نستطيع القول بأنّه لو كان هناك أكثر من إله لوُجد في هذا النظام اختلاف كبير. فباختصار، من الواضح تماما أنّ وجود ملائكة الله مهمّ للعالَم الكبير

كأهمية القوى الروحانية والحسّية في نشأة الإنسان الذي هو العالَم الصغير.

* لماذا لا نرى الملائكة ولا نشعر بعونهم

وإذا أثير اعتراض أنّه إذا كان للملائكة وجود في الحقيقة، فلماذا لا نراهم؟ ولماذا لا نشعر بأي نوع من عونهم؟ بل نرى بكلِّ وضوح أنّ كل شيء يعمل بحسب قواه الفطرية. فمثلا الجنين الذي يتكوّن في الرّحم، والثمارُ التي تحملها الأشجار، أو الجواهر الثمينة التي تتكون في المناجم إنما هي سلسلة طبيعية مستمرة؛ إذ أنّ الطبيعة المدبّرة الحيوانية والنباتية والجمادية تبلغ فِعلها مبلغ الكمال كما ظل الحكماء يقولون منذ القِدم، وتؤيد التجربة أيضاً الأمرَ نفسه، لأننا نستطيع أحياناً أن نذلّل أفعال الحيوانات والنباتات والجمادات لإرادتنا؛ بمعنى أننا نستصدر منها أعمالاً بحسب مبتغانا. فمثلاً يسقط الجنين من الرحم أحيانا قبل أن يتم خلقُه، وتصاب السيدات بمرض الإسقاط، فيفهم الطبيب الحاذق من ذلك أنّ قوى الرحم قد ضعُفت، فيعطي المريضة مُلَيّناً خفيفاً في أوائل الحمل ويزيل المواد المؤذية، ويصف لها أدوية تقوّي الرحم مثل جوارش اللؤلؤ ودواء المسك وغيرهما، ويأمرها أن تعتزل بعلَها بعض الوقت.

فبهذه التدابير تلاحَظ الفائدة بصراحة تامة ويُنقَذ الجنينُ من السقوط. وكذلك عندما يجد البستاني الذكي والفطين أنّ شجرة مثمرة تحمل ثماراً

أقلّ من المفروض فإنه يُجيل النظر في سبب ذلك ويقلم أغصانها أحياناً واضعاً في الاعتبار أسبابا متفرقة، أو يحفر حفرة صغيرة تحتها تارة ويسقيها بقدر الضرورة، وتارة أخرى يزوّدها بالسماد العادي أو يسحق العظام ويضع المسحوق عند جذرها .وكذلك يقوم الذين لديهم إلمام بالبحوث عن المناجم بخطط من هذا القبيل.

وفي أغلب الأحيان ينجح كلّ هؤلاء؛ فإذا كانت هذه السلسلة خاضعة لإرادة الملائكة، فلماذا لا يستطيعون الصمود أمام تدابيرنا؟ يبدو أنّ وجود الملائكة قد اختُرع في الزمن الذي كان الناس فيه يجهلون التحقيقات الكاملة للعلوم الطبيعية. فمن عادة الناس البحث دائما عن علّة المعلولات، وعندما لم يستطيعوا العثور على علّة صحيحة، اخترعوا وجود الملائكة في زمن الجهل لتسكين مُخيلّتهم. هذا ما يعلّمه التنوّر في الزمن الحالي، وويل لهذا التنوّر من أوهام باطلة لذوي الثقافة الحديثة. لقد بيّنتُ هذا القدر بشيء من التردد، ولكن الحق أنّ نظر معظم الناس لا يتوقف عند هذا الحد، بل ينتقدون وجود الله تعالى أيضاً على هذا النحو، حتى أنهم رفضوا وجود الخالق الحقّ نهائيا.

أما **الجواب**: فليكن واضحاً أنّ السؤال: **"لماذا لا نرى الملائكة؟"** لغوٌ تماما. إنّ للملائكة وجودا لطيفاً مثل الله[1] تعالى تماما، فكيف يمكن رؤيتهم بالعيون المادية؟ هل الله تعالى الذي يُسلِّم بوجوده هؤلاء الفلاسفة أيضاً

[1] – أي كما أن الله لا يُرى، فكذلك الملائكة

يُرى بهذه العيون الفانية؟ وإضافة إلى ذلك ليس صحيحا أنّ رؤية الملائكة محال، لأنّ العارفين يرونهم بعيونهم الروحانية في كشوفهم التي يرونها في اليقظة في معظم الأحيان، ويتحدثون إليهم ويأخذون منهم علوما كثيرة. أُقسم بالله الذي نفسي بيده، والذي لا يترك المفتري الكذّاب دون أن يخزيه ويعذّبه، بأنني صادق في بياني هذا؛ إني رأيت الملائكة مراراً في عالم الكشف وأخذتُ منهم بعض العلوم، وعلمتُ منهم الأخبار الماضية والمستقبلية التي كانت مطابقة للواقع تماماً. فأنىّ لي أن أقول بأنه لا يمكن لأحد أن يرى الملائكة؟ لا شك أنهم يُرون ولكن بعيون أخرى. وكما يضحك أولئك القوم على هذه الأمور، يبكي عليهم العارفون. ولو بقوا في صحبتي لاقتنعوا بالطرق الكشفية، ولكن المشكلة أنّ لديهم نوعا من الكبر؛ فلا يسمح لهم أن يحضروا طالبين الحق متواضعين متذللين.

أما القول بأنّه لماذا لا نشعر بأفعال الملائكة؟ فهو أيضاً فرع من الاعتراض الأول. فكما لا يُرى الملائكة في حالة المحجوبية، ولا يُعثَر على وجود الله أيضاً، بل يكون مدار الإنسان كلّه على أفكاره هو، كذلك لا نشعر بأفعال الملائكة أيضاً لأنهم روحانيون. هنا يصدق المثل القائل بأنّ الأعمى أنكر وجود الشمس قائلا بأنه لا يعثر عليها باللمس، فخاطبتْه الشمس وقالت: يا أيها الأعمى لا يمكن العثور عليّ باللمس لأني بعيدة جداً عن يديك. فادعُ الله أن يهبك عينين فستراني بهما.

* لا تخلو مخططاتنا وتدابيرنا من تدخّل الملائكة وإلقائهم وإلهامهم

أما الفكرة أنّه إذا كانت الملائكة هي المدبِّرات والمقسِّمات أمرا، **فلماذا تنجح مساعينا نحن، ولماذا تتحقق معظم شؤوننا ومخططاتنا وتدابيرنا بحسب رغبتنا؟**

فجوابه أنّ مخططاتنا وتدابيرنا هذه أيضاً لا تخلو من تدخّل الملائكة وإلقائهم وإلهامهم. إنّ الأعمال التي يُنجزها الملائكة بإذنه تعالى يستخدمون لإنجازها شخصاً أو شيئاً أُودعتْ فطرته موهبة لقبول تأثير الملائكة؛ فمثلا إذا أراد الملائكة أن ينزّلوا بإذنه تعالى مطرا في مزرعة أو قرية أو بلد، فلا يمكن أن يصبحوا ماء بأنفسهم، ولا يستطيعون أن يأخذوا من النار خدمةً في إنزال الماء، بل يوصلون السحاب بتأثيراتهم الجاذبة إلى المكان المقصود، وبصفتهم مدبِّرات الأمر ويجعلونه يمطر بحسبما قُدّر كيفا وكمًّا وتقديراً. توجد في السحاب كافّة القوى التي يمكن وجودها فيما لا روح فيه ولا إرادة ولا شعور بصفته جمادًا أو مادة. إنّ المهمة الموكولة إلى الملائكة هي التقسيم والتدبير، لذلك سُمّوا "**المقسمات**" و "**المدبِّرات**". أما الإلقاء والإلهام الذي ينزّله الملائكة فيكون بقدر مواهب المتلقّي الفطرية؛ فمثلاً الإلهام الذي يُنزلونه على عباده الأصفياء لا ينزلونه على غيرهم، بل لا يتوجّهون إلى ذلك أصلاً. فمن منطلق هذه القاعدة يستفيد كلّ شخص من فيض إلقاء الملائكة على قدر موهبته،

والعلم أو الفنّ الذي يجعله نصب عينيه ينال في مجاله العون من الملاك؛ فمثلاً حين يريد الله جلّ شأنه أن يصاب أحد بالإسهال نتيجة تناول دواء معين، يلقي الملاكُ في قلب الطبيب أن يعطيه دواء مسهِّلا فيصفُ للمريض "التربْد" أو خيار شنبر (الخروب الهندي) أو السفرجل أو السَّقمونيا أو السَّنا أو زيت الخروع أو شيئا آخر بحسبما أُلقي في قلبه، فيَقْبَل طبعُه هذا الدواء بتأييد الملائكة ولا يتقيأه، عندها يلقي الملائكة بتأثيرهم على ذلك الدواء ثم يوصلون تأثيراته إلى جسد المريض وتبدأ المواد المؤذية بالزوال بإذنه تعالى.

* لم يُرد الله تعالى في هذا العالم أن تصبح جميع أسرار العالم بديهة للناس، لأنّه لو كان كذلك لما تَرتّب ثواب

فالله تعالى لم يضيّع—نتيجة حكمته وقدرته الكاملة—سلسلة العلوم والفنون المادية أيضاً، ولم يعطّل قدراته الإلهية وسيطرته الدائمة. لولا سيطرة الله الدقيقة لهذه الدرجة على عوارض مخلوقاته وبقائهم وفنائهم لما عُدَّ إلها قط، ولما استقام التوحيد. غير أنّه صحيح تماما أنّ الله تعالى لم يُرد في هذا العالم أن تصبح جميع أسرار العالم بديهة للناس، لأنّه لو كان كذلك لما تَرتَّب ثواب على الإيمان بها؛ فمثلاً لو استطاع الناس أن يروا الله والملائكة بأم أعينهم لدخلت هذه المعلومات أيضاً في قائمة المعلومات التي ينالها الناس بحواسهم وتجارتهم، وبهذا لن يكون الإيمان بهذه الأمور سبباً للنجاة،

كما أنّ الإيمان بمئات الأمور المعلومة الأخرى لا يسبب النجاة؛ فمثلاً نحن نؤمن بأنّ الشمس والقمر موجودان فعلاً، وتوجد في الأرض مئات أنواع الحيوانات ومئات أصناف الأعشاب، ومئات النماذج من المناجم والأنهار والجبال، ولكن هل سنُثاب على هذا الإيمان؟ أو هل نكون مقرّبين إلى الله نتيجة إيماننا بهذه الأشياء؟ كلا. فلماذا إذًا يُعدُّ عند الله مستحقًا للنجاة ذلك الذي يؤمن بصدق القلب بملائكة الله والجنة والنار وميزان الأعمال يوم القيامة، ويؤمن بالقيامة، ويوقن أيضاً بحقيقة أنّ كُتب الله نزلت في الدنيا وجاءت رسله أيضا، وسيَحشُر اللهُ الأجسادَ يومًا من الأيام، وأنّ الله موجود وهو واحد لا شريك له في الحقيقة؟

أيها الأحبة، اعلموا يقينا أنّ السبب في ذلك هو أنّ هذا الشخص يؤمن بالله الذي ما زال في الغيب، ويؤمن بصحّة أخبار كتابه الغيبية، فيُعدّ عند الله صالحاً وذا فكر مستقيم وحسن الظن، ومطيعاً، فيُغفر له ببركة صدقه، وإلا ما علاقة النجاة بمجرد المعلومات؟ فلو قال أحد يوم القيامة بعد زوال الحجُب كلها: أؤمن الآن بالجنة والنار الماثلتين للعيان، والملائكة الواقفين صفّا، والميزان الذي توزن به الأعمال، ورب العالمين الجالس على كرسي العدالة؛ فهل سينجو نتيجة إيمانه بكل هذه الأشياء؟ كلا. إذًا، ما السبب في عدم نجاته؟ أليس السبب وراء ذلك أنه سيكون قد رأى حينئذ بأم عينيه كل تلك الأشياء التي كانت في حُجُب الغيب من قبل، فأفلتت من يده فرصة نَيل الثواب التي لا ينالها إلّا الذي يجهل تلك الأدلة الواضحة ثم

يصل إلى حقيقة الأمر بالاستنباط من القرائن الدقيقة البحتة؟

الأسف كلّ الأسف أنّ هناك غشاوة على عقول الذين يكادون يضحّون بأنفسهم من أجل علم الفلسفة؛ فلا يفهمون أنه لو جُعلت معرفة البارئ تعالى ووجود الملائكة وحشر الأجساد والجنة والجحيم والمعرفة بالنبوة والرسالة واضحة وكُشفت بالبداهة مثل علم الهندسة والرياضيات، ووُضّحت مثل بعض أجزاء العلوم الطبيعية والطب والأفلاك؛ لما كان لهذه العلوم الواضحة والضرورية أية علاقة بنجاة الإنسان. فالنجاة في الحقيقة فضل كبير من الله بحبه جلّ شأنه الذي يتوجه إلى الصالحين والصادقين والمؤمنين الحقيقيين والأوفياء والمؤمنين بالأخبار الظنّية، فأيّ صلاح وصدق وصفاء يمكن أن يثبته الإيمان بالأمور البديهية والضرورية؟

نرى بكل وضوح بأننا كما نؤمن أنّ نصف الأربعة هو اثنان، كذلك يعتقد بهذا أوقح الناس أيضاً. نحن نؤمن ونعتقد بوجود آلاف الأشياء—بل عشرات الملايين منها—بالقطع واليقين، ولا نشك في وجودها قط، فهل نُثاب نتيجة الإيمان بها؟ كلا. فلهذا السبب لم يُظهر الله تعالى آياته بالبداهة بواسطة أنبيائه كما ظلّ يطلبها الجهّال من الناس في العالم دائماً، بل ألقى غشاوة الابتلاء أيضاً على الذين كانت على مواهبهم غشاوة سابقا. كما ذكُر في القرآن الكريم أنّ جهّال مكة كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلّم أنهم سيؤمنون بشرط أن يُحيا جميع أموات العرب، أو يرقى في السماء أمام أعينهم وينزل منها أمام أعينهم مع كتاب الله

يأخذونه في أيديهم ويقرأونه. ولكن هؤلاء الأغبياء لم يعرفوا أنه لو كُشفت الحقائق إلى هذا الحد فأيّ فرقٍ بقي بين هذا العالمَ وبين القيامة؟ وكيف يمكن إطلاق لفظ الإيمان على هذا القبول بعد ظهور الآيات بتلك البداهة؟ ومن ذا الذي لا يقبل الحقائق البديهية البيّنة؟

فلباب القول إنّ أساس أفكار الفلاسفة هو الخاطئ. إنهم يريدون أن يُصنّفوا الإيمانيات كلها في قائمة العلوم المشهودة المحسوسة ويريدون أن يثبت وجود الملائكة والجنة والجحيم ووجود الله كما عُثر على أكثر بقاع المعمورة وكثير من النباتات والمناجم نتيجة البحوث الحالية. ولكن كيف للشيء الذي أدخله الله تعالى في الإيمانيات منذ أول يوم لإيجاد سبيل لنجاة الإنسان أن يبلغ هذه الدرجة من الهداية على عكس مشيئة الله؟ غير أنّه عندما يتقدم الإنسان من درجة الإيمان إلى مرتبة العرفان يرى هذه الأمور كلها بصورة الهداية دون أدنى شك، بل تثبت تلك الأمور بقوة أكثر من إثباتات الرياضيات لأن معظم إثباتات الرياضيات مبنية على النظريات الوهمية، بينما تكون الأمور الدينية حائزة على مرتبة العرفان ومنزهة من الشبهة والشك. إنّ الأدلة على هذه المعتقدات لا تقل عن أدلة أكثر الأمور بداهة في هذا العالم، بل إنها أقوى من ذلك، ولكن الشقي لا يرغب في هذه السبل قط، بل يريد أن يصل إلى حق اليقين بواسطة السبل التي لم تحددها سنن الله الأزلية في الكون لمعرفة هذه الأمور؛ ومَثله في ذلك كمثل الذي يضع على عينه قطعة حلوى ثم يريد أن يعرف

هل هي حلوة أو مُرة، أو كالذي يغلق عينيه ويريد أن يستخدم الأذنين للرؤية.

* الله تعالى لا يعمل شيئًا بغير الوسائط

فليكن معروفا أنه ليس صحيحا القول أنّه من أجل التسليم بهذه الأمور يريد الله للتسليم بها براهين –تعالى أن يكلّف عباده في مرتبة الإيمان بما لا يطاق، بل قدّم حقيقة دقيقة بحيث لو أمعن فيها سليم العقل لأمكنه أن ينال نصيباً وافراً من اليقين؛ فمثلًا إنّ الإيمان بالله تعالى في مراتب الإيمان هو الإيمان بالغيب، ولكن انظروا كيف يزخر القرآن الكريم بالاستدلالات والبراهين القاطعة لإثبات وجود ذلك الخالق. كذلك لا يسعنا أن نضع يد الملائكة في يد مَن ينكر وجودهم أو نُريه إياهم وهم يقومون بأعمال معينة، بل يكفي طالبَ الحقّ أن تثبت في نظره ضرورة الملائكة حتما عند رؤيته إدارة النظام في منتهى الدّقة، وإذا كان هذا الطالب ملحداً فسنُثبِت له وجود البارئ تعالى أولا، ثم نُثبِت له أنه لا يمكن أن يكون هناك إله سوى ذلك الإله الذي لا تسقط ورقة بدون أمره وإذنه، ثم نثبت له أنّ الحِكَم الدقيقة التي يُنعِم الله تعالى بها على عباده بواسطة الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح وغيرها، لم تُعطَ تلك الأشياء قوى قط لمعرفة تلك الحِكم ووضعِ الشيء في محله، كما أثبتنا قبل قليل. وقد أثبتنا أيضاً أنّ الله تعالى لا يعمل شيئاً بغير الوسائط. والأشياء التي يجعلها عزوجل

وسائط، يعطيها أولا قوى وقدرات مناسبة لإنجاز تلك الأعمال؛ فيسخّر الأذكياءَ لإنجاز أعمال تتعلق بالذكاء، ويستخدم أولي العزم لإنجاز أعمال ذات صلة بالعزم، ويسخّر الناس لإنجاز أعمال تتعلق بالناس، ويستخدم الحيوانات لأعمال تتعلق بها، ويستخدم أصحاب النظر الدقيق في المجال المعني.

* لو أُثبت وجود الملائكة كأنهم أُحضِروا أمام الأعين لما بقي الإيمان إيمانا

فلا شكّ في أنّ ضرورة الملائكة تثبت دون شك بعد تقديم كل هذه الأدلّة. أما في الإيمانيات فيكفي هذا القدر للإثبات كيلا يكون تكليف بما لا يطاق، وكيلا يضيع ثواب الإيمان أيضاً؛ لأنه لو أُثبت وجود الملائكة كأنهم أُحضِروا أمام الأعين لما بقي الإيمان إيماناً، ولفاتت الحكمة وراء النجاة، فافهم وتدبّر ولا تكن من المستعجلين ...

وأما ظنّك بأنّه يجب علينا أن نثبت جميع معتقداتنا بالعقل مثل الأرقام والرياضيات—حيث إنّ بعض أقسام العلوم الطبيعية مثبتةٌ على هذا النحو—وأن نقول: لمّا كان الإنسان مكلّفا بالعقل فالأمور التي لا يستوعبها عقلنا ليست جديرة بالقبول—فهذا خطأ قاتل ترتكبه. وللسبب نفسه آلت حالتك إلى أنّك لا تعتبر العلوم والدين شيئين منفصلين، بل تريد أن تُحوَّل جميع المسائل والمعتقدات الدينية إلى علم يشبه الأرقام والرياضيات أو أكثر من ذلك أيضا. ولكن من المؤسف حقا أنّك

لا تفكر أنّه لو كانت العلوم الدينية والمعتقدات الدينية من العلوم البديهية مثل قولنا: اثنان زائد اثنان يساوي أربعة؛ فلماذا إذًا وُعدنا بالنجاة نتيجة التسليم بها؟ لا أفهم ما علاقة النجاة بالإقرار بالأمور البديهية والاعتراف بها؟ فلو قلتُ بأنني معترف بأنّ السيد المحترم ما زال حيّاً يُرزق وسليماً معافى إلى تاريخ اليوم ... أو أقبل أنّ يوم الاثنين يأتي بعد يوم الأحد، وأنّ نصف العشرين هو عشرة، فهل لي أن أتوقّع أيّ أجر أو ثواب نتيجة الاعتراف بهذه الأمور؟ كذلك لو كان وجود الملائكة من الأمور المشهودة والمحسوسة وكان يقينيّاً، حتى يُريك الله تعالى ملاكاً عياناً فتلمسه بيديك وتراه بعينيك، وكذلك ترى أنهار الجنّة والحور والغلمان وأنت جالس في مدينتك ... وشربتَ كأساً من الشراب الطهور أيضاً ورأيت الجحيم عياناً، فلا أفهم ماذا تكون أهمية قولك: آمنا وصدقنا بعد كل هذه الإثباتات البينة والجلية؟

يا عزيزي، ويا أيها السيد المحترم إنّ الوقت يمر بسرعة، فافهم سريعاً هذه المسألة الحسّاسة والمهمة التي هي مدار الأجر والإيمان. والمراد من الإيمان أن يؤمن المرء بالأمور المسلّم بها وتبدو ممكنة الوجود من خلال بعض القرائن، ولكنها لا تزال مستورة وخافية، لأن المؤمن يُعَدّ صادقا عند الله نتيجة الإيمان بمثل هذه الأمور لأنّه آمن بخبر جاء به نبيه أو رسوله، وعَدّ رسوله مخبراً صادقاً. فيُغفَر له بسبب هذا الصدق وحسن الظن.

//المقتبسات التالية، ما عدا العناوين الجزئية، من كتاب حمامة البشرى//

* خطأ قياس الملائكة بالناس

فمنهـا أنهـم يقولـون إنّ الملائكـة ينزلـون إلى الأرض كنـزول الإنسـان مـن جبـل إلى حضـيض، فيبعـدون عـن مقـرهم ويتركـون مقامـاتهم خاليـة إلى أن يرجعوا إليها صاعدين. هذه عقيدتهم التي يبينون وإنّا لا نقبلها، ونقول إنّهم ليسوا فيها على الحق. فاشتدّ غيظهم وقالوا إنّ هؤلاء خرجوا من عقائد أهل السنة والجماعة، بل كفروا وارتدّوا، فقاموا علينا معترضين.

وأما الجواب: فاعلم أنّهم قد أخطأوا إذ قاسوا الملائكة بالناس، ولا يخفى على الذي خُلق من طينة الحريّة وتفوَّق دَرَّ الدِّراية اليقينية أنّ الملائكة لا يشابهون الناس في صفة من الصفات أصلا، ولم يقم دليلٌ من الكتاب ولا السنّة ولا الإجماع على أنهم إذا نزلوا إلى الأرض فيَترَكون السماوات خالية كبلدة خرجت أهلُها منها ويقصدون الناس بشق الأنفس ويصلون الأرض بعد مكابدة الأسفار وآلامِ بُعد الشقّة ومتاعبها وشدائدها، ومعاناة كل مشقّة وجهد ..

* الملائكة يشابِهون بصفاتهم صفات الله تعالى

بل القرآن الكريم يُبَيّن أنّ الملائكة يشابِهون بصفاتهم صفات الله تعالى، كما قال عز وجل ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ (الفجر 23). فانظرْ، رَزَقك الله دقائق المعرفة، أنّه تعالى كيف أشار في هذه الآية إلى أنّ مجيئه ومجيء الملائكة ونزوله ونزول الملائكة متّحد في الحقيقة والكيفية. ولا

حاجة إلى أن نُذكّرك ما ثَبت من نزول الله تعالى من العرش في الثلث الآخر من الليل، فإنك تعرفه، ومع ذلك ما أظن أن تحمل ذلك النزول على النزول الجسماني وتعتقد أنّ الله تعالى إذا ما نزل إلى السماء الدنيا فيبقى العرش خالياً من وجوده! فاعلم أنّ نزول الملائكة كمثل نزول الله، كما تشير إليه الآيات المتقدمة والله أدخلَ وجودَ الملائكة في الإيمانيات كما أَدخل فيها نفسَه وقال ﴿**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ (البقرة 178). وقال ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾ المدثر (32) ، فبيّن للناس أنّ حقيقة الملائكة وحقيقة صفاتهم متعالية عن طور العقل ولا يعلمها أحدٌ إلا الله؛ فلا تضربوا لله ولا لملائكته الأمثال وأْتوه مسلمين.

وأنت تعلم أنّ كلّ مسلم مؤمن يعتقد أنّ الله ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل مع وجوده واستوائه على العرش، ولا يتوجه إليه لوم لائم ولا طعن طاعن لأجل هذه العقيدة، بل المسلمون قد اتّفقوا عليها وما حاجّهم أحد من المؤمنين. فكذلك الملائكة ينزلون إلى الأرض مع قرارهم وثباتهم في مقامات معلومة؛ وهذا سرّ من أسرار قدرته؛ ولولا الأسرار لما عُرف الرّب القهّار. ومقامات الملائكة في السماوات ثابتة لا ريب فيها كما قال عز وجل حكاية عنهم ﴿**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾ (الصافات 165). وما نرى في القرآن آية تشير إلى أنهم يتركون مقاماتهم في

وقت من الأوقات بل القرآن يشير إلى أنهم لا يتركون مقاماتهم التي ثبّتهم الله عليها ومع ذلك ينزلون إلى الأرض ويدركون أهلها بإذن الله تعالى ..

* الملائكة يتمثّلون في تمثّلات كثيرة

ويتبرّزون في برزات كثيرة، فتارة يَتمثّلون للأنبياء في صور بني آدم، ومرة يتراءون كالنور، وكَرّة يراهم أهل الكشف كالأطفال، وأخرى كالأمارد. ويخلق لهم الله في الأرض أجساداً جديدة غير أجسادهم الأصلية بقدرته اللطيفة المحيطة، ومع ذلك تكون لهم أجساد في السماء؛ وهم لا يفارقون أجسادهم السماوية، ولا يبرحون مقاماتهم، ويجيئون الأنبياء وكلّ من أُرسلوا إليه، مع أنهم لا يتركون المقامات. وهذا سِرّ من أسرار الله، فلا تعجب منه. ألم تعلم أنّ الله على كل شيء قدير، فلا تكن من المكذّبين.

* الملائكة يقولون للشيء كن فيكون، وفِعلهم فِعلُ الله من غير تفاوت

وانظر إلى الملائكة كيف جعلهم الله كجوارحه وجعلهم وسائط قَدره في الأمور وَكُنْفَيَكُونِيَّتِهِ ـــ وهذا لفظ مركب من كن فيكون ـــ في كلّ أمر، ينفخون في الصور على مكانتهم، ويبلّغون صيحتهم إلى من يشاءون، ولا يعجز أحد منهم عن أن يُدرِك كلَّ من في المشارق والمغارب في طرفة عين، أو في أقل منها، ولا يشغله شأن عن شأن.

فانظروا مثلا إلى مَلَك الموت الذي وُكِّل بالناس كيف يقبض كلَّ نفس في الوقت المقدّر وإن كان أحد من الذين يُتوفَّون في آن واحد في أقصى المشرق والآخر في منتهى بلاد المغرب. فلو كانت سلسلة هذا النظام الإلهي موقوفة على نقل خطوات الملائكة من السماء إلى الأرض ثم من بلدة إلى بلدة ومن مُلْك إلى مُلْك لفسد هذا النظام الأَمريّ ولتطرّق حرجٌ عظيم في أمور قضاء الله وقدَره وما كان المَلَك، عند انتقاله من مكان إلى مكان، أن يأمن إضاعةَ الوقت وفَوتَ الأمر المقصود، ولَوَرَدَ في وقت من الأوقات موردَ العتاب ولأُرهق في يوم من الأيام بعتبة رب الأرباب لأجل ما فاته فِعْلُ الأمر على وقته، ولأُخِذَ بأنواع العقاب. وأنت تعلم أنّ شأن الملائكة منزّه عن هذا وهم يفعلون من غير مُكْث وفِعلُهم فعلُ الله من غير تفاوت ـــ فتدبر ولا تكن من الغافلين[1].

[1] – ههنا سؤال ينشأ طبعاً في كلّ فَهْم سليم: وهو أنّ الملائكة هل يستطيعون أن يفعلوا ما أُمروا في مقدارِ وقت لا يكتفي لانتقالهم من مكان إلى مكان، بل يمضي قبل أن يقوموا من مقامهم أو لا؟ فإن قيل في جوابه إنهم لا يستطيعون، فالنزول عبثٌ وداخل في تضييع الأوقات، بل هو من أمارة العجز، بل الحق أنّه نوع من العصيان والغفلة، ومَن غَفل متعمداً فقد عصى. فإن قيل إنهم لا يستطيعون، فهذا يوجب أن ينتظر الله تعالى مطلوبه إلى مدّة نزول الملائكة إلى الأرض، ولا يخفى فساد هذا القول على العقلاء، فإنّ نقص الانتظار على الله محال ولا يصح عليه أن يتطرّق في إرادته حرجٌ وفي مشيئته توقُّف، ويأتي عليه زمان كالمنتظرين. فإنّ الوقت مقدار غيرُ قارٍّ، فلا شك أنّ وقت النزول غير جزء الذي كان هو وقت المقام وسماع الكلام من الله العلام؛ وأنت تعلم أنما أمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون. أتحسبون أنّ ملائكة الله كانوا أقلّ همّة وقوّة من صاحب سليمان، الذي ما قام من مجلسه، وما نقل إلى مكان، وأتى بعرش بلقيس قبل أن يرتدّ طرف سليمان؟ فتدبر، والإشارة مكتفية (كافية) للعاقلين. منه

* الملائكة أعظم جسماً من كل ما في السماوات والأرض

ثم تدبّر، نصرك الله ورزقك الإقبال على المعارف، أنّ الملائكة أعظم جسماً من كل ما في السماوات والأرض كما ثبت من النصوص القرآنية والحديثية، فلا شك أنّه لو نزل أحدٌ منهم إلى الأرض بجسمه العظيم القوي، لغشي الأقاليم كلها وأَهلك أهلَها وما وسعته الأرض ـــ فالحقّ أنهم ينزلون كنزول تمثّلي ولا تنزل أجسامهم الأصلية من السماوات، ولكن الله يخلق لهم أجساداً أخرى على الأرض بحيث تسعها الأرض وتقتضيها المعدات الخارجية بقدرٍ تُدركه أبصارُ المبصرين.

ففكّر في قولنا هذا كما هو شرط الفكر ولا تعجل، بل تكلّف للفهم لبثةً، وانظر كلامي هذا بنظر الإنصاف كرّةً، وتَفَتَّش حقيقةَ كلمتي مَرّة، واستمعْ عني نَفثتي تارة، ثم لك الخيار من بعد، وبيدك القبول والرّد. وحاصل قولنا أنّ الملائكة قد خُلقوا حاملين للقدرة الأبدية الإلهية، منزَّهين عن التعب واللغب والمشقّة، ولا يجوز عليهم مشقّة السّفر وتعبُ طيّ المراحل والوصول على المنازل والمقاصد بشقّ الأنفس وصرف الأوقات، فإنهم بمنزلة جوارح الله لإتمام أغراضه بمجرد إرادته من غير مُكث؛ فلو كان نزولهم وصعودهم على طرز صعود الإنسان ونزوله لاختلّ نظام ملكوت السماوات، وفَسد كلُّ ما فيهما، ولعاد كلُّ هذا النقص إلى الله الذي أقامهم مقامه في المهمات الربوبية والخالقية وغيرهما، فإنهم مدبّراتُ أمْرِه، والحافظون من لدنه على كل شيء، وإنما أمرهم إذا أرادوا شيئا فيكون

الشيء المقصود من غير توقّف؛ فأنّى ههنا السفر؟ وأين طيّ المراحل وترك المقامات والنّزول إلى الأرض بصرف وقت؟ فلا تُمارِ في هذا ولا تَسْتَفْتِ الذين اعتراهم جنونُ التعصُّب فكانوا بجنونهم محجوبين.

وقد ثبت من رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما يؤيّد قولنا من عَدَم نزول الملائكة، كما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما في السماء موضع قدم إلاّ عليه مَلَك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة: ﴿**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ**﴾ (الصافات 165). فاعلم، رحمك الله، أنّ هذا دليل قطعيٌّ على أنّ الملائكة لا يتركون مقاماتهم، وإلاّ فكيف يصح أن يقال إنّه لا يوجد في السماء موضع قدم إلاّ عليه مَلَك؟ وكيف تبقى هذه الصورة عند نزول الملائكة إلى الأرض؟ ألا تعتقدون أنّ لجبرائيل عليه السَّلام جسم[1] يملأ المشرق والمغرب؟ فإذا نزل جبرائيل بذلك الجسم العظيم إلى الأرض وبقيت السماء خالية منه ففكِّر في مقدار خالٍ، وتذكّر حديث موضع قدم، وكن من المتندّمين.

ثم إذا فكّرتَ في سورة ليلة القدر فيكون لك ندامة وحسرة أزيد من هذا، فإنّ الله عز وجل يقول في هذه السورة أنّ الملائكة والروح ينزلون في تلك الليلة بإذن ربهم، ويمكثون في الأرض إلى مطلع الفجر. فإذا نزلتْ الملائكةُ في تلك الليلة إلى الأرض فلَزم، بناءً على اعتقادك، أن تبقى السماءُ كلّها خالية بعد نزولهم، وهذا كما تقدم في حديث موضع قدم؛

[1] – سهو، والصحيح "جسماً" /الناشر

فلا تنقل قدمك إلى الضلالة البديهة وأنت تعلم أنّ الرشد قد تَبيّن من الغيّ، ولن تستطيع أن تُخرج لنا حديثاً دالاً على أنّ السماء تبقى خالية بعد نزول الملائكة إلى الأرض، فلا تجترئ على الله ورسوله، ولا تقفُ ما ليس لك به عِلم فتقعد ملوماً مخذولاً وتدخل في الضالّين.

إنّ الذين يطلبون سُبُل الله لا يُصرّون على ما قالوا أو فعلوا، وإذا رأوا أنهم قد ضلّوا فرجعوا إلى الحق مستغفرين. هنالك ترى أعينَهم تفيض من الدّمع، ربنا اغفر لنا إنّا كنّا خاطئين، فيغفر لهم ربهم ويتوب عليهم رحمةً وفضلاً، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين. واعلم أنّ الله ورسوله، الذي أوتي جوامع الكلِم، كثيراً ما يستعملان استعارات في الكلام، فيغلط فيها رجل لا ينظر حقّ النظر، والذي يفسّرها قبل وقتها ويعتقد أنها محمولة على الظاهر وما هي محمولة عليه، ولكنّه يخطئ لدخله قبل وقت الدخل فيُصِرُّ على خطئه أو تُدركه عناية الله فيكون من المبصرين.

وقد جرتْ عادةُ الله تعالى أنّه قد يكون في أنبائه المستقبلة ومعارفه الدقيقة اللطيفة المزيَّنة بالاستعارات أجزاءٌ تُبلى بها الناس، فالذين يكون في قلوبهم مرضٌ فيزيدهم الله مرضاً بتلك الابتلاءات، فيستعجلون ويكذّبون كلامَ الله أو يكذّبون الذي رزقه الله علمه .. ظلماً وعُلُوّاً، ولا يتدبّرون خائفين. ثم إذا ظهرتْ براءتُه وأنارتْ حجتُه فيرجعون إليه متندّمين أو يموتون في هوة التعصُّب، ويستغني الله والله غنيّ عن العالمين. وأما من أوتي

فراسةً من عند الله وَنُوّر من لَدنه، فيمهر في العلم الإلهي، ويعرف الحقيقة وينظر بنور الله ويرزقه الله إصابة المحفوظين.

* الملائكة لا يُفارقون ما يحفظونه طرفة عين

ولنرجع إلى كلامنا الأول فنقول: إنّ الله تبارك وتعالى قال في كتابه المحكم ﴿**إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**﴾ (الطارق 5). فلما كانت الملائكةُ حافظين لنفوس النجوم والشمس والقمر والأفلاك والعرش وكلّ ما في الأرض، لزم أن لا يفارقوا ما يحفظونه طرفة عين. فانظر كيف ظهر من هذا الأمر الحق وبطل ما زعم الزاعمون من نزولهم وصعودهم بأجسامهم الأصلية، فلا مفر إلى سبيل من قبول دقيقة المعرفة التي كتبناها ـــ أعني أنّ الملائكة لا ينزلون بنزول حقيقي ولا يرون وعْثاء السفر، بل إذا أراد الله إراءتهم في الناسوت فيخلق لهم وجوداً تمثّلياً في الأرض، فتراهم العين التي تسرح في روضات الكشف، ولو لم يكن كذلك للزم أن يرى الملائكةَ الناسُ كلّهم عند نزولهم إلى الأرض لقبض الأرواح وغيرها من المهمات، ولَلَزم أن يرى ملكَ الموت مثلا كلُّ من تُوفي أحد من أقاربه وممن يؤاخيه ومن عشيرته وعقبه وقومه وأصدقائه أمام عينه فإنّ جسم الملائكة جسم كأجسامٍ أخرى فلا وجه لِعدم رؤيتهم مع نزولهم بأجسامهم الأصلية وأنت تعلم أنّ خَلقاً كثيرا يموتون أمام أعيننا فلا نرى عند نَزْعِهم وغَمْرة موتهم الملائكةَ التي تَوفّتهم، وما نسمَع ما يَسألون الموتى وما يكلّمونهم، فالحقّ أنّ هذا الأمر وأمثاله من عالم المثال الذي ما أراد الله كَشْفَ كُنهه على العقول

والأعين، وأما نظائر عالم المثال فكثيرة، ومنها نزول الملائكة، ومنها ما جاء في الأحاديث أنّ قبر المؤمن روضة من روضات الجنة أو حفرة من حفر النار، ومنها ما جاء في بعض الأحاديث أنّ الله يكشف لمؤمن غرفةً إلى الجنة في قبره، ويكشف لكافرٍ غرفةً إلى جهنم، ولكنّا ربما نزور القبور أو نحفر أرضها فلا نرى غرفة إلى الجنة أو إلى جهنم، ولا نرى فيها شجرة واحدة فضلا عن الروضات، ولا جمرة من النار فضلا عن النيران الموقدة المحرِقة، ولا نرى هنالك ميتا قاعداً عايشاً بعد الموت، كما أخبر عن قعود الموتى وحياتهم عند السؤال والجواب؛ بل نرى ميتاً مكفَّناً قد أكلت الأرضُ لحمَه وكَفَنَه. وقد جاء في الأحاديث أنّ الشهداء يرزقون من ثمرة الجنّات وألبانها وشرابها الطهور، ولكنّا لا نرى في قبورهم، التي هي روضة من روضات الجنّة، من ثمرة أو ريحان أو من قدح اللبن أو كأس الخمر، وربما لا ندفن الموتى إلى أيام فلا نرى مجيء الملائكة عندهم ولا ذهابهم، وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنّ الملائكة يَضربون وجوهَ الكفّار، ولكنّا لا نرى مَلكاً ضارباً، ولا أثر الضرب ولا نسمع صراخ المضروبين.

وقد جاء في بعض الأحاديث أنّ الطفل الرضيع إذا مات قَبْل تكميل أيام الرضاعة فتتم أيامها في القبر، ولكنا لا نرى مُرضعاً قاعدة في القبر ولا طفلاً يمصّ لبنها.

وقد جاء في بعض الآثار أنّ قبر المؤمن يوسَّع عليه بمقدار كذا وكذا، ولكنّا لا نرى أثراً من ذلك التوسيع، بل نراه كقبرِ كافرٍ من غير تفاوتِ

سعةٍ وضِيق، فكيف ندّعي الحقيقة ولا نرى آثارها؟ وكذلك قيل إنّ الشهداء أحياء يأكلون ويشربون، ولكنّا لا نرى أنهم لاقوا الناس كالأحياء ووثبوا من قبورهم ورجعوا إلى دورهم؛ فلو كانت هذه الأمور ـــ أعني نزول الملائكة وتوسيع قبور المؤمنين، ووجود الجنّات فيها، وقعود الموتى في القبور أحياء وغيرها التي يوجد ذكرها في القرآن والأحاديث ـــ من الأمور الحقيقية الحسّية، التي هي من هذا العالم لا من عالم المثال، لرأيناه كما نرى أشياء أخرى التي توجد في هذه الدنيا. وأنت تعلم أنّ أحداً منّا لا يرى هذه الواقعات بعينٍ يرى بها أشياءَ هذا العالم. فإنّا نرى أشجار هذا العالم وبساتينها عن بعيد، ونرى ثمراتها معلّقة بأغصانها، ولكنا إذا كشفنا قبر شهيد من الشهداء فلا نجد فيها أثراً منها، وقد آمنّا بأنّ قبورهم أودعت لفائف النعيم وضُمِّختْ بالطيب العميم، وسيق إليها شرب من تسنيم وأريج نسيم، وفيها روضة من روضات الجنّة وكأس من كأس اللبن والخمر، ولكنّا ما شاهدنا شيئاً منها بأعيننا ولا تحسّسناه بحاسة أخرى، فلم نجد بُدَّاً من تأويلٍ، فقلنا إنّ هذه الأمور كلها، أعني نزول الملائكة ونزول الجنة وغيرها متشابهة، يشابه بعضها بعضا؛ ولا شك أنّ لها حقيقة واحدة من غير اختلاف وتفاوت. ولا شك أنّ هذه الواقعات كلّها منسلكة في سلك واحد. فتَبَصَّر تسترح من سهام المعترضين. ولا تركن إلى الذين ظلموا واكتسوا ثوب الذلّ والخطأ بعد ما تبين الرّشد من الغيّ؛ واتبع قولاً قد

انكشف كلّ الانكشاف، ومَزّق رقعة تقليد الجهلاء شَذَر مَذَر، ولا تُبال أَعَذَل أحدٌ أو عَذَر، وكن من الذين يقومون لله قانتين.

* يجب عدم قياس واقعات هذا العالم بحقائق العالم الآخر

ولا بدّ لك أن تؤمن وتعتقد أنّ نزول الملائكة، وحياة الموتى في قبورهم، وقعودهم في أجداثهم، ووجود الجنّة والسعير فيها ليس من واقعات هذا العالم ولا من مدركات هذه الحواس، بل هي من عالم آخر ولا ينبغي لأحد أن يحملها على واقعات هذا العالم أو يقيس عليه حقائق تلك العالم، بل هي أمور متعالية عن طور هذا العالم ومدركاته ولا يعلم كنهها إلاّ الله، فلا تضرب لها الأمثال ولا تكن من المعتدين.

وأنت تعلم أنّ الله تعالى ما قال في كتابه إنّ الملائكة يشابهون الناس في صعودهم ونزولهم، بل أشار في كثير من مقامات كتابه المحكم إلى أنّ نزول الملائكة وصعودهم كنزوله وصعوده. ولا يخفى عليك أنّ الله تعالى ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، فلا يقال إنّ العرش يبقى خالياً عند نزوله، وكذلك أشار الله في كتابه إلى نزوله في ظلل من الغمام مع الملائكة المقربين. فإذا حل الله الأرض مع جميع ملائكته، فإن كان هذا النزول كنزول الأجسام، فلا بدّ لك أن تعتقد أنّ العرش والسماوات تبقى خالية يومئذ ليس فيها الرحمن ولا ملائكته. فادّكِرْ إن كنتَ من المدَّكرين. وأحسن النظر إلى ما قلنا واستعدّ لقبول المعارف إن كنت من الطالبين.

أفتظنّ أنّ السماء لا تبقى على حالة واحدة.. فقد تكون مملوَّةً من الملائكة، مكتظَّة بحفلهم، وقد تكون كمواضع خالية ليس أحد فيها. فإن كنت تُصدّق هذه العقيدة الباطلة وتُصرّ على نزول الملائكة بأجسامهم فعليك أن تثبتها من النصوص القرآنية أو الحديثية كما ادعيتها، أو تتوب كرجال متَّقين.

وقد جاء في بعض الأحاديث أن جبرائيل عليه السَّلام مكث على الأرض مع عيسى عليه السَّلام إلى ثلاثين سنة ما فارقه في وقت. وجاء في أحاديث أخرى إنه لا يَلقى الوحي إلاّ حال كونه في السماء، ويلقى الوحي من لدن ربه ثم يُطلِع عليه آخرين؛ فهذه مصيبة أخرى عليك، ولن تقدر على تطبيق هذه الأحاديث وتوفيقها، وربما يختلج في قلبك وهْم وتقول إني لست قائلا بخلوّ السماوات بعد نزول الملائكة، فيقال لك إنّك تنسى عقيدتك؛ ألست تعتقد أن الملائكة ينزلون بنزول حقيقي، فلزمك من هذا أن تقول إنّهم ينزلون بأجسامهم الأصلية، وأنت تعلم أنّ نزولهم بأجسامهم الأصلية يستلزم خلوَّ السماوات بعد النزول. وإن كنتَ تعتقد أنّ الملائكة لا ينزلون بأجسامهم الأصلية، بل يخلق الله لهم في الأرض أجساما أخرى التي لا تُدرَك ولا تُرى، فهذا هو مذهبنا. ولكنّك إذا أصررت على نزولهم بأجسامهم الأصلية فهذا قول يخالف القرآن العظيم، لأنّ القرآن يُدخِل وجودَ الملائكة في الإيمانيات ويجعل لهم مقامات معلومة في السماء، أعني المقامات التي أقامهم الله عليها، ولا يذكر أنهم يتركون

مقاماتهم في حين من الأحيان. وأما ذِكْر نزولهم فهو كذِكْر نزول الله لا تفاوت بينهما؛ فمنهم الصافّون، ومنهم المسبّحون، ومنهم الراكعون، ومنهم الساجدون، ومنهم القائمون ـــ كما أشار إليه القرآن وليس أحد منهم قاعداً كالفارغين.

* الملائكة جُند الله الذين لا يتخلّفون عنه

فإذا نزل أحد منهم بجسمه العنصري فلزم أن يترك مقامه خالياً ويخرج من صفّه ويبعد عن مقام تسبيحه أو ركوعه أو سجدته الذي أقامه الله عليه وينزل إلى الأرض كالمسافرين. وما نرى في القرآن أثراً من هذا التعليم، بل جعل الله نزول الملائكة كنزول نفسه، وجعل مجيئهم كمجيء ذاته؛ ألا تنظر إلى هذه الآية أعني قوله تعالى ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾، وقوله عز وجل ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**﴾ (البقرة 211)

وههنا نكتة أخرى، وهي أنّ الله إذا نزل إلى الأرض مع ملائكته، فلا بدّ من أن ينزل الملائكة كلهم ـــ فإنّ الملائكة جند الله فلا يجوز أن يتخلف أحدٌ منهم عند نزول رب العرش إلى الأرض؛ فإذا تقرر هذا فيلزم منه أن تبقى كلّ سماء من العرش إلى السماء الدنيا خالية عند نزول الله تعالى على الأرض، ليس فيها رب رحيم، رب العرش، ولا ملك من الملائكة ـــ واللازم باطل فاللزوم مثله، كما لا يخفى على المتفكرين.

ثم إذا فرضنا أنّ في الأرض مثلا مائة ألف من الأنبياء، بعضهم في المشرق وبعضهم في المغرب، وبعضهم في نواحي الجنوب، وبعضهم في أقصى بلاد الشمال؛ وأمَرَ اللهُ تعالى لجبرائيل أن يوحي إليهم كلّهم في آن واحد، لا يتأخر منه أحد ولا يتقدم. أو إذا فرضنا أنّ الله أمَر مَلَك الموت أن يَتوفى مائة ألف من الرجال الذين بعضهم في المشرق وبعضهم في المغرب في طرفة عين، لا يقدِّم ولا يؤخر فما ظنّك أنّ جبرائيل أو مَلَك الموت يعجز عن ذلك أو يقدر على إتمام أمر المغرب مع كونه في المشرق؟ فإن كان قادراً فكذلك يقدر أن لا ينزل من السماء ويفعل كل ما يشاء كالنازلين.

ومثل آخر نستفسرك جوابه وهو أن مَلَك الموت حَلَّ بلدة عظيمة من البلاد المشرقية في أيام الوباء ليقبض أرواح سكان تلك البلدة، فاشتدت الضرورة لقيامه فيها إلى الشهرين بما كثرت فيها واقعات الموت مسلسلة متواترة، وما فرغ من قَبْضِ نفسٍ إلا وجاء وقت قَبْضِ نفسٍ أخرى، فحبسه هذه السلسلة المتوالية المتتابعة فيها وما كان أن يتحاماها قبل أن يَتوفّ أهلَها، فمكث فيها إلى أن تمادى المقامُ وامتدّت الأيامُ إلى الشهرينِ، فما بال قوم قد جاء أجلُهم في تلك الأيام في البلاد المغربية وما قدر مَلَك الموت على أن يصلهم على وقتهم أهم ـــ يموتون من غير أن يحضرهم قابض الأرواح؟ أو تطيش سهام منایاهم؟ بَيّنوا إن كنتم صادقين.

لا يُقال إنّ ملك الموت قادر على أن يقبض نفوس المغربيين مع كونه مقيماً في المشرق، لأنّا نقول إنّه لو كان قادراً على مثل تلك الأفعال لما اضطر إلى النزول من السماء، وما كان محتاجا إلى سَير الأرضين. وإذا قبلتم وسلّمتم أن مَلَكاً من الملائكة يتصرف على كلّ وجه الأرض مع كونه في بلدة من البلاد، ولا يشغله شأن عن شأن، ويَتوفى المشرقيّ في المشرق مع كونه في المغرب، فأيُّ حرج في ذلك أن تقول إنّ الملائكة مع كونهم في السماء يتصرفون في الأرض بإذن الله تعالى. وأيّ ضرورة اشتدت لنزولهم مع كونهم قادرين على أن يتصرفوا في سكان مكان مع كونهم في مكان آخر من الأرضين؟

* أمرُ نزول الملائكة أمرٌ متعالٍ عن طَور العقل وضرب الأمثال

وإن كنتَ تطلب منّا من مَثَلٍ ينكشف به عليك مذهبنا، فاعلم أنّه أمرٌ أرفع وأبعد عن ضرب الأمثال، وقد يقال، تقريبا لا تحقيقاً، إنّ مَثَلَ نزول الملائكة إلى الأرض كمثل نجوم السماء تنطبع أشكالها في البحار والأنهار والحياض والمرايا التي قابلتها. والحق أنّ أمرَ النزول أمرٌ متعالٍ عن طَور العقل وضرب الأمثال، وإن هو إلا خَلْق جديد من القادر الذي هو بكلّ خَلق عليم، ولا تدرك الأبصار كُنه حكمه وكوائف أسراره. فتشبيه نزول الملائكة بنزول الناس حمق وضلالة، والإنكار منه إلحاد وزندقة، وقبول معنى يليق بشأن الملائكة، الذين هم كجوارح الله، معرفة تامّة وصراط مستقيم ـــ رزقها الله لنا ولجميع عباده الصالحين.

وهذا من أحسن العبارات عن معنى النزول الذي تشابه على أكثر الناس فخُذْها منّي شاكراً، فإنها من علومٍ نَفَثَها الله في روعي وشرح بها صدري. وإنها هي السكينة التي تنطق على لسان المحدثين حين يحتاج الخلق إلى إزالة أوهامهم. فتفكَّر ولا تَحِدْ منه إن كنت تطلب سبل اليقين، وقد جعلني الله إماما لِحل تلك الغوامض، وإن كانت طبيعتي تأبى الإمامة وتأنف منها؛ ولكنه فَعَل كذلك فضلاً من لدنه ليُحْسِن إلى من كُذِّبَ ولُعِنَ وكُفِّرَ، ويحسنَ إلى خَلْقه، وليرى الأعداءُ أنهم كانوا كاذبين مخدوعين، وليرزق أبناءَ الزمان علوماً اقتضت طبائعُهم كشْفَها والله يفعل ما يشاء ـــ ما كان للناس أن يسألوه عما فعل وهم من المسؤولين.

والذي نفسي بيده إنّه نظر إليَّ فقبِلني، وأحسن إليَّ، وربّاني وأعطاني من لدنه فهماً سليماً وعقلاً مستقيماً. وكم من نورٍ قذف في قلبي فعرفتُ من القرآن ما لا يَعرف غيري ودركت[1] منه ما لا يُدرك مخالفي، ووصلتُ في فهمه إلى مرتبة تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس وإن هذا إلا إحسانه وهو خير المحسنين.

* الملائكة توحي إلى الناس بقبول الحق وتُعطيهم قوّة لذلك

... سرٌ من أسرار الله تعالى وسنّة من سنّته أنه إذا أراد إصلاح الناس في وقتٍ تَسلّطَ الشيطان على قلوبهم فيُنزِل روحَه على قلب عبدٍ من عباده

[1] – سهو، والصحيح أدركتُ / الناشر

ومعه ملائكة، فيتنزل الملائكة في كلّ طرف، فيوحون إلى عباده أن قوموا واقبلوا الحق، فيأتونهم ويعطونهم قوة لقبول الحق وتحمّل المصائب. وما يظهر هذه التحريكات إلاّ عند ظهور رسولٍ أو نبيّ أو محدَّث، ولكن الجاهلون ما يعرفون هذا السر الذي تهبّ منه رياح الهداية ويغلطون فيه ويسلكون مسلك الاتفاقات ولا يتدبرون في أنّ الله قد جعل لكلِّ شيء سبباً وما من متحرك في الكون إلاّ وله محرِّك؛ أولئك الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا ورضوا بخيالات سطحية وما كانوا من المتدبرين .

والحق أنّ للمَلَك لمّة بقلب بني آدم وللشياطين لمّة؛ فإذا أراد الله أن يبعث مصلحاً من رسول أو نبيّ أو محدَّث فيقوي لمّة الملَك ويجعل استعدادات الناس قريبة لقبول الحقّ ويعطيهم لهم عقلاً وفهماً وهمّة وقوةَ تحمّلِ المصائب ونورَ فهمِ القرآن ما كانت لهم قبل ظهور ذلك المصلح؛ فتصفّى الأذهان وتتقوى العقول وتعلوا الهمم ويجد كلّ أحد كأنه أُوقظ من نومه وكأن نوراً ينزل من غيبٍ على قلبه وكأن معلّماً قام بباطنه؛ ويكون الناس كأنّ الله بدّل مزاجَهم وطبيعتهم، وشَحذ أذهانَهم وأفكارهم. فإذا ظهرت واجتمعت هذه العلامات كلّها فتدلّ بدلالة قطعية على أنّ المجدد الأعظم قد ظهر، والنّور النازل قد نزل. إلى هذا أشار سبحانه في سورة القدر وقال ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ*﴾ (القدر 2-6). وأنت تعلم أنّ الملائكة

والـروح لا ينزلـون إلاّ بالحـق، وتعـالى الله عـن أن يرسـلهم عبثـاً وباطـلاً. فإرسـال الـروح ههنـا إشـارة إلى بَعْث نبّي أو مُرسَل أو محدَّث يُلقى ذلك الـروح عليـه. وإرسـال الملائكـة إشـارة إلى نـزول ملائكـة يجـذبون النـاس إلى الحق والهداية والثبات والاستقامة ،كما قال الله تعالى في مقام آخر: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الأنفال 13)، أي: هاتوا قلوبَهم وحبّبوا إليهم الإيمان والثبات والاستقامة ـــ فهذا فِعْل الملائكة إذا نزلوا. ففي سورة القدر إشارة إلى أنّ الله تعالى قد وعد هذه الأمة أنه لا يضيعهم أبداً، بل إذا ما ضلّوا وسقطوا في ظلمات، يأتي عليهم ليلةُ القدر وينزل الروح إلى الأرض، يعني يُلقيه الله على من يشاء من عباده ويبعثه مجدّدا ويَنزل مع الروح ملائكةٌ يجذبون قلوبَ الناس إلى الحق والهداية، فلا تنقطع هذه السلسلة إلى يوم القيامة ـــ فاطلبوا تجدوا واقرعوا الباب يفتح لكم ..

/ نهاية الاقتباس من (حمامة البشرى)[1] /

ضرورة الإيمان بالغيب والبحث عن الخالق وصفاته[2]

من واجب كلّ عاقل أن يبحث عن سرّ دقيق وهو أنّه لماذا أبقى اللهُ تعالى الأمورَ التي كُلِّف الإنسانُ بالإيمان بها مستورة وخافية إلى درجةٍ لا

[1] - (حمامة البشرى) كتاب للمسيح الموعودوالإمام المهدي حضرة مرزا غلام أحمد عليه السلام

[2] - الاقتباس التالي من (مرآة كمالات الإسلام)

يمكن اكتشافها بحكمة هذه الدنيا وعلومها؟ فمثلا إنّ الأمر الأوّل والأهم في الإيمانيات هو الإيمان بوجود الله تعالى وبأنّه العليم والحكيم والقادر على كل شيء والمدبّر بإرادته وواحد لا شريك له، وهو الأزلي والأبدي وذو العرش، وموجود في كلّ مكان، ولكن هل للعقل أن يعرف عن هذه الأمور شيئاً سوى بعض الأفكار الخيالية والمخترَعة؟ وأنىّ للجائع والعطشان لاكتشاف الحقيقة، ويريد معرفة الله الحيّ أن يطمئن باستدلالات العقل الناقصة وأحادية الجانب؟ مهما فكّر العقلُ البشري وتأمّل في خَلْق الأرض وخَلْق الأجرام السماوية مائة ألف مرة، فلا يمكنه أن يدّعي أنّ لهذا العالم خالِقاً، لأنه لا يسعه هذا الادّعاء إلّا إذا كان قد رآه أيضاً، ويكون مطّلعا عليه. غير أنّه إذا لم ينخدع العقل ولم يتوجه إلى جانب آخر فله أن يقول بأنّه يجب أن يكون لهذا الترتيب المحكم والتركيب الأبلغ والنظام الحكيم خالقاً. ولكن الفرق بين "**موجود فعلًا**" و "**يجب أن يكون**" واضح جليّ. ولقد قلنا ذلك على سبيل التنازل فقط، وإلّا فإنّ الذين اتخذوا عقلهم إماما في سبيل البحث عن الله تعالى وأرادوا أن يصلوا إلى الغاية المنشودة بهدى العقل فقط، فقد أوصلهم العقل إلى أنهم إمّا صاروا ملحدين في نهاية المطاف أو آمنوا بالله إيماناً ضعيفا لا يجدر بأن يُعدّ إيمانا أصلا. فإذا كان هذا هو حال أصحاب العقل في مجال معرفة الله وكانت البداية خاطئة، فكيف نتوقّع من العقل الإنساني أن يطّلع على الأمور الغيبية الأخرى؟

والجواب على سبب إخفاء الأمور الإيمانية هو ما قد كتبناه من قبل؛ أي أنّ من رحمة الله ومغفرته وفضله أنّه جعل هذه الأمور الخفيّة سبيلاً لنجاة الإنسان، لأنّ الله تعالى، الذي هو علة العلل، جعل نفسه خافية، **وكذلك** جعل الملائكة الذين هم مدبّرات الأمور بإذنه تعالى، وأيضاً القيامة التي هي مكان تجلّي القدرة التامّة، وكذلك جعل الجنّة والجحيم وحقيقة النبوة والرسالة والوحي خافية عن أعين الذين كانوا يدّعون العقل، ووهب معرفة هذه الأمور لعباده الأُميين وأكرمهم بتاج النبوة وبخلعة الرسالة، وأرسلهم إلى الدنيا ليدعوا الناس إلى الإيمان. والذي آمن بهم مخبرين صادقين وآمن بكلامهم سُمّي مؤمناً ونجا.

أما الذي اتخذ العقل الدنيوي ومنطقه قِبْلةً له وتردّد وارتاب فقد عُدّ مردوداً وكافراً وخاسراً في الدنيا والآخرة، وكانت الجحيم مستقره. ولكن لا ينخدعنّ أحد في هذا المقام فيظنّ أنّ في دعوة الإيمان هذه إجباراً وتكليفاً بما لا يطاق، لأنه، كما كَتبتُ في هذا الكتاب وفي كتب سابقة، فإنّ الأمور الإيمانية يجب أن تكون مصحوبة أيضاً بالقرائن المرجِّحة التي تُطَمئن الباحث عن الحق، وتنوب مناب الأدلة والبراهين للعقل السليم وتقضي على الشبهات الفلسفية قضاء نهائياً، وخاصّة إذا خرجت من فم شخص تُحالفه كثير من الأنوار السماوية والبركات والخوارق. فبالنظر إلى هذه الأنوار يصبح يقين شخص سليم الفطرة نوراً على نور دون أدنى شك. وهذه هي فلسفة الإيمان التي بيّنتُها.

إنّ كلام الله تعالى يعلّمنا أنْ آمِنوا تنجُوا، ولا يعلّمنا أن نطلب الأدلة الفلسفية، وأننا لن نقبل بتلك الحقائق والبراهين اليقينية على المعتقدات التي جاء بها النّبي ما لم تنكشف مثل العلوم الرياضية.

من المعلوم أنّه إذا أريدَ الإيمانُ بما جاء به النبي بعد مقارنته بالعلوم الحسّية فذلك ليس اتّباعا للنبي؛ بل الحق أنّه عندما تنكشف كل حقيقة بالكامل تصبح واجبة التسليم تلقائياً سواء أقالها نبي أو غيره. بل يضطر المرء لقبولها وإن قالها فاسق. نقبل الخبر الذي نقبله لأنّ النبي أدلى به ولأنّ صِدقه مسلّم به بأنّه لا بد أن يتضمن إمكانية كبيرة لكونه صادقا عند العقل."

/نهاية الاقتباس من (مرآة كمالات الإسلام)، والاقتباس التالي من كتاب (حقيقة الوحي) للمسيح الموعود عليه السلام/

"ومن الجدير بالتدبّر أنّ كلّ شيء في هذا الكون ينشأ بأمر منه عزّ وجلّ، ولكنه تعالى——مع ذلك——يستخدم الوسائل لتنفيذ قضائه وقدره. فمثلاً ثمّة سمّ يهلك الإنسان، وهناك ترياق ينفعه، فهل لنا أن نتصور أنّ كليهما يؤثّر في جسم الإنسان بنفسيهما؟ كلا! بل هما يؤثّران تأثيراً سلبيًا أو إيجابيًا بأمر من الله تعالى——فهما أيضاً ملائكة نوعًا ما——بل إنّ كلّ ذرة من ذرّات العالم التي تحدث فيها تغيّرات دائمة كلّها ملائكة الله. لا يكتمل التوحيد ما لم نعدّ كل ذرة في الكون ملائكة الله. لأنّنا لو لم نعدّ كل المؤثّرات الموجودة في الدنيا ملائكةَ لله لاضطررنا للاعتراف أنّ كافة

التغيرات الحادثة في جسم الإنسان وفي العالم ككل تحدث تلقائياً بدون عِلْم الله ومشيئته. وفي هذه الحالة لا بدّ من اعتبار الله عاطلا وجاهلاً بكلّ شيء. فالسّر في الإيمان بالملائكة هو أنّ التوحيد لا يستقيم بدونه. فلا بد، إذًا، من الإيمان بأنّ كلّ شيء يأتي إلى الوجود، وكلّ تأثير يحدث، إنّما يتم بإرادة الله تعالى. وإنّ مَثَلَ الملائكة كمثل أشياء تعمل دائماً بحسب أمرٍ من الله تعالى." / من كتاب (حقيقة الوحي) ص 317

// نهاية الاقتباس من بيان الإمام الموعود //

عود على بدء

الآن وقد عَلِمنا بفضل الله العليم الخبير العديدَ من صفات ملائكة الله تعالى وضرورةَ وجودها ومهامّها، أرى أنّ من المفيد للقارئ الكريم إجمال ما جاء في توصيف الملائكة، مع القليل من الشرح والبيان لتيسير فهم ما بدا غامضاً بعض الشيء.

وبعون الله نُتابع ..

حين سأل نبيُّ الله موسى عليه السلام ربَّه قائلاً: ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ**﴾ قَالَ ﴿**لَنْ تَرَانِي**﴾ (الأعراف 143)، ولم يقل له 'لا أريد أن أُريك

نفسي‘، بل بيّن له حقيقةً معرفية: ﴿**لن تراني**﴾. ليس في قانون الخَلق أن يَرى الخلقُ ربَّهم عياناً بعيون أجسادهم، ولا أن يسمعوه بآذانهم المادّية، ولا أن يتلقّوا منه شيئاً بأيديهم. وهذا لأنّه، سبحانه وتعالى العليّ المتعال القدّوس في عالم الغيب الذي لا تطاله حواسُّنا المادّية ولا نَعرف منه مباشرةً، ولا نُحيط بشيء من علمه، إلّا بما شاء.

وبما أننا كمخلوقات مادّية محجوبين بالأشياء التي حولنا وبأنفسنا، وحواسّنا، وظلماتنا، وأخطائنا، وآثامنا، وما لا يُحصى من الحجب، فإنّ من المستحيل علينا أن يتواصل الله معنا مباشرة من دون وساطة ووسيلة تكون نورانية شفّافة وطاهرة. ليس عجزاً منه، سبحانه، وإنّما بإرادة منه وحكمة. وهو الحكيم الخبير. وهو على كلّ شيء قدير.

ورغم أن كلّ شيء محجوب بنفسه وذاته وخصائصه التي من دأبها أن تحول بينه وبين معرفة الله الحقة وتمنع الأبصار من أن تُدركه، فقد تكرّم اللهُ على خلقه بأن يُدرك هو أبصارَهم، حتى وإن كانت الأبصارُ لا تُدركه. قال تعالى:

﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾

(الأنعام 103)

من منطلق هذه الحقيقة نفهم كيف برهن المسيحُ الموعود عليه السلام على ضرورة وجود الملائكة وماهية خَلقها ومهامّها وأعمالها، حيث بيّن أنّ

الله عزّ وجلّ، من أجل أن يتواصل مع الخلق وينعم عليهم، فقد خلق مخلوقات شفّافة ليس لها ذات تحجبها أو إرادة خاصّة تحدو بها إلى أن تعمل بمشيئتها فتُخطئ أو تُصيب، بل إنّ هذه المخلوقات لا تقدر على المعصية ولا تفعل إلّا ما يشاء الله:

﴿ **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ (التحريم 6)

وهي لذلك لا تُكافَأ على عمل ولا تُعاقَب، وذلك لأنّها لا تملك مشيئة خاصّة بها، بل تقف صافّة بين يدي الله عزّ جلّ لتُنفّذ أمره وتُجري مشيئَته فوراً دونما أيّ تأخير، ودون أن تضطّر لِتغادر مقاماتها، أو تستغرق وقتاً للوصول إلى غاياتها. وبذلك تكون قادرة على أن تُحقق إرادات الله كاملة تامّة بحسب مشيئته، لحظةَ يشاءَها.

وبحسب القرآن الكريم فإنّ الملائكة لا جنس لها من حيث الذكورة أو الأنوثة، بمعنى أنهم ليسوا إناثاً ولا ذكوراً، فهم لا يتكاثرون ولا يتناسلون كالبشر؛ ولكنهم عباد للرحمن منشغلون بعبادته دائماً دون توقّف، وطعامهم التسبيح والتقديس وذكر الله.

ويكلِّف اللهُ الملائكةَ، بحسب درجاتهم وقدراتهم، بأعمال لا يعجزون عن تنفيذها، بل هم دائماً قادرون على إنجاز ما يأمرهم الله بفعله، لا يخطئون ولا يتقاعسون ولا يفشلون ولا يتقدّمون ولا يتأخّرون. وهم لا يحتاجون للمشي ولا يمشون على الأرض مطمئنّين كما يمشي البشر،

ولكنهم يتمثّلون بالبشر بمشيئة الله ويصطفي الله منهم رسلاً يتواصلون مع البشر لإيصال رسالات ربّ العالمين إلى الناس وإلى الأنبياء والمرسلين. ويقول القرآن الكريم أنهم: يشهدون لله بالتوحيد، ويسبحون ويستغفرون لمن في الأرض، وأنّهم يكونون حفظة على البشر والنفوس يحفظونهم من أمر الله. وكذلك من مهامّهم أنّهم يُثبّتون المؤمنين في القتال وينصرونهم ويُلقون الرّعب في قلوب أعدائهم. ويَلعنُ الملائكةُ الكافرين ويتوفّون النفوسَ عند الاحتضار، ويبشّرون المؤمنين بأنّهم هم أولياؤهم في الحياة الدّنيا والآخرة. والملائكة هم خزنة جهنّم ويتلقّون الكافرين للعذاب، وكذلك هم المبشِّرون في الجنّة ويتلقّون المؤمنين بالسلام والبشرى.

وأيضاً، بحسب القرآن الكريم، فإنّ الملائكةُ مُسخّرة لضبط الليل والنهار وتَسيير الفلك في البحر بما ينفع الناس، وهي مكلّفة بتصريف الرياح وتسيير السحاب وإنزال المطر. وهي تمسك السماء بقوانين الله تعالى وتحمل العرش وتحفظ وتُسيِّر الشمس والقمر والأفلاك والنجوم وتحفظ جميع المخلوقات بأمر الله.

وبحسب الحديث الشريف، فإنّ الملائكة تطلب مجالس الذكر وتحفّ بها حيث تتنزّل رحمة الله وفضله. ومن أعمالهم أنّهم يؤمّنون عند الدعاء ويصلّون على من يقرأ القرآن ويدعون للمؤمنين ويستغفرون لهم .. ولا يحبّون أو يُبغضون إلّا بأمر الله. وييسّرون السبيل لطالب العلم، ويفرحون بذهاب العناء والشّدة عن الفقراء ويحضرون الجنائز ولا يكون حضورهم

خيرًا لجنازة الكافر، وهم يُصلّون على صاحب المائدة طالما هي موضوعة للناس، ويشهدون لروّاد المساجد ويتفقّدون المصلّين، في حين أنّهم يجتنبون المتّصفين ببعض الصفات المكروهة كالسّكران والجُنب إلخ. وهم يستحون من الأتقياء، ولا يحبون جلجلة النواقيس، ويصلّون على الجالس في مصلاّه، ويحبون الطهارة والسواك، ويكرهون الروائح الخبيثة، كما يكرهون التضمّخ بالعطور، ويصافحون الأطهار المتطهّرين، ويوقّرون الأتقياء الصالحين ويستغفرون لهم، وحكمة البشر بين أيديهم. ويردف الملائكةُ الذّاكرين في أسفارهم، ويستغفرون لمن يعود المرضى. ويطوف الألوفُ منهم بالبيت المعمور، ويشهدون اللهو المفيد (ربما مثل لعب الأهل مع أولادهم إلخ)، ويكرهون تنابز الناس بالألقاب ويلعنون من ينادي أحداً بغير اسمه، ويسألون الميّت في القبر، ويجرّون جهنّم، وينزلون مع سوَر القرآن، ويمشون بين يدي سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن خلفه—يعني يمشون بين أيدي ومن خلف الأنبياء والأتقياء الصالحين أيضاً. وتذكر بعضُ الأحاديث—على سبيل المثال—بعض الأحجام الحقيقية لبعض الملائكة، فتقول بأنّ الملك يستطيع أن يضع قدماً في السماء، فيما تكون قدمه الأخرى لا تزال على الأرض، وأن ما بين كتف الملك وشحمة أذنه مسيرة سبعمائة سنة. وهذا وصف تمثيلي لعدم اضطرار الملائكة لقطع المسافات، وأنّ قوتها أكبر من أن يقيسها الناس على عالمهم.

وتقول الأحاديث أنّ الرعد ملَكٌ موكل بالسحاب. ونعلم أنّ هناك

ملك موكل بالجبال، وهذا يعني أنّ الملائكة موكلة بكل شيء، وأنّ كل شيء يحصل—بأمر الله—بفعلها وبحسب ما هي مكلّفة به. وتقول الأحاديث بأن الملائكة هي التي نزلت بالحجر الأسود من السماء—فلعلّه من بعض نيازك الفضاء.

في بيان المسيح الموعود عليه السلام

وكما مرّ معنا، بحسب بيان المسيح الموعود عليه السلام، فإنّ الملائكةُ وروح القدس يتنزّلون مع بعثة كلّ نبيّ أو رسول أو مصلح سماوي. وبهذا فهي لابدّ أن تنزل تأييداً لبعثة المسيح الموعود عليه السلام ودعوته. ومن مهامّها أنها تُسبّب نشوءَ الأفكار الحسنة في عقول الناس وتحبّبهم بالتوحيد، ورغم أنها حين تنزل لا تُغادر مقاماتها في السماء، إلّا أنّها توصل كلّ شيء إلى كماله المطلوب.

وتتحكّم الملائكة بطبقات السماء، وهي بمنزلة الروح للكواكب، وقد جعلها الله واسطةً بينه وبين أنبيائه لإفاضة أنوار الوحي. وبما أنّ الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فإنّ بإمكاننا أن نُطلق اسم الملائكة على كلّ ذرة من ذرّات الأجسام أيضاً. ويشكّل وجودُ الملائكة نظاماً سماوياً يُثبت قدرةَ الله تعالى وحقيقةَ توحيده، وقد سخّر الله للبشر كلّ ما في السماوات والأرض من خلال الملائكة التي أمرها بالسجود للإنسان الكامل، حيث أنّه يُجلّي في شخصه كافّة شؤون العالم الكبير وصفاته وخواصّه، فالإنسان أفضل عند الله من جميع الملائكة التي تتشرّف بخدمة الإنسان.

ومن أعمال الملائكة أنّها تُلقي بأثرها النوراني في الجنين في بطن أمّه، وأيضاً بعد تكوينه. وأيضاً ينعكس جبريل (روح القدس) في مرايا قلوب البشر على قدر سعتها ونقائها. وترتسم صورة روح القدس على قلب المحب. ويقع تأثير جبريل على جميع بني آدم. ولا تُفارق نور روح القدس الممتلئِين بحبّ الله. وإنّ روح القدس هو الدّاعي إلى الخير وهو لهم نعم القرين، في حين يكون الشيطان هو الدّاعي إلى الشر ويكون لهم بئس القرين.

ولا يُفارق نعم القرين الصالحين والمقرّبين .. والذين يزكّون أنفسهم يتحررون من ربقة الشيطان وهم يَغلِبون .. ومن سلك مسالك الرحمانية ابتعد عنه الشيطان تلقائيا. ولكن يجب إلّا ننسى أنّ الدوافع إلى السيئة

هي ما يجعل الإنسان مستحقّا الثواب.

على كل نفس من نفوس المخلوقات ملاكاً موكلاً يراقبها ويحفظها ويبقى معها. ولو تفكّرنا لفهمنا حقيقة أنّ فرداً واحداً من الملائكة يقدر بإذن ربه أن يجعل عالي الأرض سافلها—ولا حاجة لأكثر من ذلك. وتحفظ الملائكة كلّ نفس، في حين يكون روح القدس ملاك الرقابة الداخلية. ويكون روح القدس قرين الإنسان إلى الأبد ويدعوه إلى الحسنات. وتحفظ الملائكةُ البشرَ من الآفات المادية والإظلامات الروحية. ولولا حفظها لما استطاع الإنسان أن يعيش لحظة واحدة. وروح القدس هو النور والحياة، حيث يُعطى الإنسانُ بواسطته روحا طاهرة وحياة جديدة.

وعند نزول الوحي، يكون جبريل (روح القدس) في السماء. ويجب أن نفهم أنّ روح القدس لم يهجر سيّدنا ومولانا محمّداً، صلى الله عليه وآله وسلّم، ولا لحظة واحدة، وأنّ الأنبياء يشاهدون وجود جبريل التمثيلي وليس الأصلي.

الله ليس بحاجة إلى الملائكة، ولكن لابدّ من وجود الأسباب التي وراء الأسباب. وإذا ما تفكّرنا بعمق كافٍ لوجدنا أنّه لولا توسط الأسباب لما وُجد في الدنيا عِلْم. ولا شكّ في أنّ كل ذرة تعمل بحسب مشيئة الله تعالى، ولا تؤثّر فينا إلّا بإذنه، وهي، كما ذكرنا، نوع من الملائكة ومسخّرة لنا كوسائط لتربية الإنسان مادّيا وروحانيا، وهي مسيّرة في يد الله ولا تملك إرادة ولا تصرّفا من نفسها—إلاّ بأمر الله.

وتَرجمُ الملائكةُ الشياطينَ بالشهب. وإنّ تضرر الجِنّة (الشياطين) برمي الشهب ليس سببه النار المادية، بل النور الملائكي؛ فالملائكة تحرق الشياطين بنورها وليس بنار الشهب، حيث أنّ الملائكة بمنزلة الروح للنجوم والقوى السماوية وهي تُسيّر الشهب بنورها .. ولا يعمل الملائكةُ شيئًا إلّا لأغراض ومقاصد معيّنة بحسب ما يكلّفون به ويؤمرون به. وإذا انتقل الملائكة إلى "الأرجاء" أصاب الموتُ جميعَ الأجرام.

وإذا ما تفكّرنا لوجدنا أنّ ملكوتُ الله لا يستقيم إلّا إذا تَبِعَتْه كلّ ذرة من ذرات العالم، ولذلك فإنّ هناك في الخفاء أشياء أخرى أُعطِيتْ عقلاً لِوضْع الشيء في محله، وهي الملائكة بعينها.

وبما أنّ صلة المخلوقات بالله كالصلة بجوارحه وأعضائه، فإنّه سبحانه وتعالى حين يتحرّك إراديا لابدّ أن يتحرك كل شيء، إذ لا تظهر مشيئة لله على الأرض دون وسائط قط. وكذلك لا تَظهر قوانا وملكاتُنا إلّا بالاستفادة من وسائط أخرى، وبدونها لا تستطيع الظهور، فنحن نحتاج إلى مساعدات خارجية لتكميل كافة حواسنا قوانا وقدراتنا. ولا تخلو مخططاتنا وتدابيرنا من تدخّل الملائكة وإلقائهم وإلهامهم. وكما جعل اللهُ قانوناً يحمي النّظام المادّي الظاهري، فقد جعل في مُقابل هذا النظام قانوناً يحمي ويحفظ النظام الروحاني الباطني.

يوم القيامة تنتقل الملائكة إلى الأرجاء تاركة جميع العلاقات وتخرج من السماء والأجرام خروج الروح من الجسد. وإذا انتقل الملائكة إلى

"الأرجاء" أصاب الموتُ جميعَ الأجرام فينهار الكون..!

ونحن لا نرى الملائكة لأنّ الله تعالى لم يُرد أن تصبح جميع أسرار هذا العالم بديهية للناس، لأنّه لو كان الأمر كذلك لما تَرتَّب ثوابٌ على الإيمان بالغيب، ولو أُثبت وجود الملائكة كأنهم أُحضِروا أمام الأعين لما بقي الإيمانُ إيمانًا.

* معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾

نعلم أنّ الله عز وجل قد حرّم السجود لغيره وقال في كتابه المجيد:

﴿**فَاسْجُدُوا لِلَّهِ**﴾ النجم: 63

وقال تبارك وتعالى: ﴿**لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ**﴾ فصلت: 38

وجاء في تفسير الرازي: أي لا تعبدوا غير الله[1].

إذن كيف يمكن أن نفهم أن يأمر اللهُ تعالى الملائكةَ بالسجود لغيره، وهذا بمثابة العبادة التي لا تجوز إلا لله تعالى لقوله:

[1] -المجلد 14 الجزء 29 الصفحة 26.

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾،

أي فاسجدوا لله وحده واعبدوه وحده؟

لا شكّ في أنّ السجود يعني الانقياد التام.. ونفهم ذلك من آياتٍ مختلفة في القرآن الكريم تبيّن أنّ السّجود لا يعني فقط خفض الرأس ووضع الجبين على الأرض كما في الصلاة، بل إنّ السجود يعني أيضاً الانقياد التام دون أدنى مخالفة أو خروجٍ عن الطاعة المطلوبة. نفهم هذا حين نقرأ الآيات التالية، قال تعالى:

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الرحمن: 7

فها هي ذي نجوم السماء وكواكبها تسجد لله عز وجل، وكذلك تسجد جميع نباتات الأرض وأشجارها لربنا الرحمن، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّ كلّ ما في السماوات والأرض يسجد لله بغير إحناء رأسٍ أو وضع جبينٍ على الأرض، قال الله:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ النحل: 49

ويفصّل القرآن الكريم في بيان حقيقة سجود كلّ شيءٍ لله عز وجل فيقول:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابّ﴾ الحج: 19

نفهم هنا بوضوحٍ أنّ السجود يعني أيضاً الخضوع والانقياد التام، ولا يعني

دائماً وضع الجبين على الأرض كما في حالة العبادة في الصّلاة.

إذن..

لَمَ يأمر الله الملائكة بوضع جبينهم على الأرض قبالة آدم، ولم يكن هكذا سجودهم له[1].

فكيف كان إذن؟

لقد أمر الله الملائكة بالخضوع والانقياد للنبي آدم عليه السلام وذلك من خلال تقديم كلّ عونٍ ونصرٍ وتأييدٍ له وللمؤمنين معه وهذا هو الأمر الدائم للملائكة حال بعثة كلّ نبي، إذ ينصر الله نبيّه بتأييد الملائكة له مسوّمين من عنده، مأمورين بدعمه طوال عمر دعوته.

قال تعالى:

﴿**أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ**﴾ آل عمران: 125

﴿**يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ آل عمران: 126

ويمكننا أن نفهم من القرآن الكريم أنّ سجود الملائكة لا يكون لآدم والأنبياء فحسب، بل يكون كذلك لكل إنسانٍ مؤمنٍ وصل بعون الله تعالى إلى مرحلة التسوية الروحية التي تؤهله للحصول على الدَّعم الكامل لملائكة

[1] – جاء في قصص القرآن لـ محمد أحمد جاد المولى: "ثم أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم فاستجابوا لربهم خاضعين وأقبلوا على آدم معظمين وعفّروا جباههم له ساجدين إلا إبليس" ص6.

الله عز وجل له.. وهذا معنى قوله تعالى:

﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾ الحجر 30

بعد أن يثبت الإنسان في تجربته الشخصية ويتطور تطوراً روحياً عالياً فيَصِل إلى مرحلة الإنسان السوي تماماً والملتزم بصراط الله السويّ، يصل عندئذٍ إلى مرحلة التسوية التي تؤهله لنفخ روح الله فيه وبالتالي لسجود الملائكة له دعماً وتأييداً وانقياداً بأمر الله عز وجل الذي قال في الحديث القدسي:

(عبدي، أطعني أجعلك ربّانياً تقول للشيء كن فيكون)[1].

كما ورد في حديث عن رسول الله ﷺ قوله:

(لله رجالٌ إذا أرادوا أراد)[2].

إنّ تسخير الله عزّ وجل الملائكة لعون آدم يعني أيضاً تسخير كلّ شيءٍ لصالح الإنسان، وذلك لأن الملائكة هم جنّود الله عز وجل الذي يدبّرون الأمور بأمره، قال تعالى:

﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ لقمان: 21

قد سخّر الله كلّ عونٍ في السماء والأرض لمن يسلك نفسه في سبُل الله ربه ويأتلف ويتوافق مع دينه وسننه ويؤلّف ويصلح بين الناس ويأدم بينهم

---

[1] – الأحاديث القدسية.

[2] – الأحاديث القدسية.

ويكون أسوةً وآدماً لهم، ولا يشطن ولا يُبلس ولا يكون من المفسدين.)

وكذلك سجود الملائكة لآدم يعني حفظ الملائكة، بجميع أشكالها، للبشر الذين هم من نسل آدم. يقول تعالى:

﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴾ الرعد 11

أي ثمة من الملائكة من يتعاقب على الإنسان في الليل وفي النهار لحفظه من الأخطار التي تُحدق به، فتحفظه بأمر الله تعالى. والآية كذلك تُشير إلى صحابة سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الذين كانوا يُضحّون بأنفسهم متعاقبين ليل نهار ليحفظوه من كلّ خطر يمكن أن يهدّد حياته ودعوته.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد خاتم النّبيين، وعلى عبدك المسيح الموعود.

والحمد لله ربّ العالمين.

كتب للمؤلّف باللغة العربية

من سلسلة: الإسلام الذي يجهلون

عنوان الكتاب	عدد صفحات الكتاب
1) قتل المرتد، الجريمة التي حرّمها الإسلام	
2) أبناء آدم من الجنّ والشياطين	
3) انتبهوا ! الدجال يجتاح العالم	
4) مات المسيح وما قام (ملف المسيح يُفتح من جديد)	
5) النبأ العظيم	
6) نزع فتيل الإرهاب الدّولي (إسلام السلام وأمان العالم)	
7) ملائكة الله (ضرورتهم .. مهامّهم .. الغاية من وجودهم)	صفحات

كتب للمؤلّف باللغة الإنكليزية

*(Beware, Addjjal-Antichrist Is Ravaging The World!)

* (انتبهوا! الدّجال يجتاح العالم) 259 صفحة

* (Heaven is your make, life, and destiny)

* (الجنّة أنت تصنعها، وهي حياتك ومصيرك) 304 صفحات

* (Beware, America!)

* (احذري يا أمريكا!) 432 صفحة

* (Doctor Faust In The Court Of Heaven) / fiction /

* (الدكتور فاوست في محكمة السماء) / رواية / 666 صفحة

ترجمات للمؤلّف

2) "**المسيحية، رحلة من الحقائق إلى الخيال**"/ المؤلّف ميرزا طاهر أحمد الخليفة الرابع في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية/ صدر في لندن

3) "**شروط البيعة وواجبات الأحمدي**" / المؤلّف ميرزا مسرور أحمد الخليفة الخامس في الجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية / صدر في لندن

4) "**صلب المسيح برواية شاهد عيان**" / المؤلّف شاهد عيان عايش المسيح الناصري عليه السلام

5) "**الجنّة أنت تصنعها، وهي حياتك ومصيرك!**" / المؤلف محمد منير إدلبي/ قيد الترجمة

6) "**احذري يا أمريكا!**" (تفسير سفر الرؤيا ونبوءاته) / المؤلف محمد منير إدلبي/ قيد الترجمة

الفهرس

ملائكة الله.....1

الإهداء 3

إلى الأرواح الطاهرة الذين لا يعصون الله ما أمرهم.....3

ويفعلون ما يؤمرون.....3

جميع حقوق النشر والطباعة محفوظة © محمد منير ادلبي وأولاده 4

تمهيد 5

الجزء الأوّل.....9

ملائكة الله في القرآن الكريم.....9

* الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان.....10

* الملائكة عباد الرحمن ولا جنس لهم.....13

* القوانين المادّية لا تنطبق على الملائكة، وهم لا يمشون على الأرض مطمئنين كما يمشي البشر 14

* الملائكة تشهد ألاّ إله إلاّ الله 15

* الملائكة يسبحون وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ.....16

* يَنزل الملائكةُ على الرسل لينذروا بالتوحيد 17

* الملائكة تتمثّل بشراً تنادي العباد الأتقياء وتحمل لهم رسائل البشرى من الله تعالى.....19

* يُرسل الله الملائكة حَفَظَةً على البشر وهم لهم حافظون 21

* الله يوحي للملائكة لِيُثَبِّتوا المؤمنين ويُلقوا في قلوب الكافرين الرعب..... 21
* الملائكة تَدخل على المؤمنين من أبواب الجنة وتُسلِّم عليهم..... 22
* الملائكة أولياء المؤمنين يُبشّرونهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويهدونهم إلى منازل الإكرام من الله عزّ اسمه 23
* الملائكة تنصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم دائماً 23
* الله يمدّ المؤمنين بالملائكة 24
* الملائكة تلعن الكفّار..... 24
* الملائكة تأتي مع الله بالعذاب..... 25
* الملائكة مكلّفون بالنار..... 25
* التحذير من عبادة الملائكة 26
* الملائكة تتوفى الناس..... 26
* عروج الملائكة بعد انتهاء مدّة معينة..... 27
* في ليلة القدر تنزّل الملائكة من كل أمر 28
* عمل الملائكة في ما سخّر الله لنا 32
* الملائكة تخسف الأرض وتأتي بالعذاب..... 34
الجزء الثاني 37
الملائكة في بيان الحديث الشريف 37
* ثمّة من الملائكة من يطلبون حِلَقَ الذّكر ويحفّون بها 38

* من الملائكة من يؤمّن عند الدعاء 39
* الملائكة تُصلّي على من يقرأ القرآن 39
* الملائكة تُقاتل مع المؤمنين وتصرع الرجال 39
* دعاء المريض كدعاء الملائكة 40
* الملائكة تُؤمّن على دعاء الدّاعي 40
* الملائكة يُصلّون على الناس..... 40
* الملائكة تُحب وتُبغض بأمر الله 40
* الملائكة تدعو للعاطس 41
* الملائكة تسأل الميّت عمّا قدّم..... 41
* الملائكة تُيَسّر السّبيل لطالب العلم 41
* لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صُوَر 41
* الملائكة ترافق الحُجّاج وتصحبهم..... 42
* الملائكة تفرح بذهاب العناء والشّدة عن الفقراء 42
* حضور الملائكة جنازة الكافر لا يكون خيراً له 43
* الملائكة تصلي على صاحب المائدة..... 43
* الملائكة تُصلّي على المقرّبين من المؤمنين 43
* الملائكة شهداء الله في السماء 43
* جبريل أفضل الملائكة 44

* تشهد الملائكة على روّاد المساجد وتتفقّد المصلين 44
* الملائكة تجتنب أُناساً معيّنين 44
* خَلق الله الحورَ العين من تسبيح الملائكة 45
* الملائكة خُلقت من نور 45
* الملائكة تستحي من الأتقياء 46
* الملائكة لا تحب جلجلة النواقيس 46
* الملائكة يقفون بين يديّ ربّهم صفّاً 46
* تُصلّي الملائكةُ على الجالس في مُصَلاّه 47
* طعام الملائكة التسبيح والتقديس 47
* الملائكة تُحبّ السواك 48
* الملائكة تصفّ للعبادة 48
* الملائكة تكره الروائح الخبيثة 48
* الملائكة تحفّ بالمصلّي 49
* مصافحة الملائكة 49
* تشهد الملائكة اللهو المفيد 49
* الملائكة تلعن من يدعو أحداً بغير اسمه 50
* الملائكة تسأل الميت في القبر 50
* الملائكة تنزل مع سور القرآن 51

* الملائكة تمشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم 51
* أحجام الملائكة هائلة كالأرض والكواكب والسماء 51
* ستون ألف ملك يصلّون على من يختم القرآن 53
* الملائكة صافّون في السماء ساجدون مسبحون وحامدون 53
* الملائكة نزلت بالحجر الأسود من السماء 54
* الرّعد مَلَك موكل بالسحاب..... 54
* الذي يزور في الله تشيّعه ألوف الملائكة..... 55
* لا تفعل الملائكة شيئاً إلاّ بإذن الله..... 55
* الملائكة تستغفر للطاهرين المتطهّرين 55
* الملائكة توقّر الصالحين والأتقياء 56
* حكمة البشر في أيدي الملائكة 56
* الملائكة تردف الذاكرين في ركُبهم..... 57
* ألوف الملائكة تستغفر لمن يعود المريض 57
* ألوف الملائكة تطوف بالبيت المعمور في السماء..... 57
* آلاف الملائكة يجرّون جهنّم 58
الجزء الثالث 59
الملائكة في بيان المسيح الموعود عليه السلام 59
* حقيقة الملائكة ماهيّتها وضرورة وجودها..... 60
* معنى نزول الملائكة؟ 64

* تنزل الملائكة وروح القدس مع بعثة نبيّ أو رسول، أو مصلح..... 65
* الملائكة تُسبب نشوء الأفكار الحسنة وتُحبّب بالتوحيد 65
* نزول الملائكة تأييداً لبعثة الإمام الموعود 66
* الملائكة لا تُغادر مقاماتها 67
* الملائكة يوصلون كلّ شيء إلى كماله المطلوب 68
* الملائكة تتحكّم بطبقات السماء وهي بمنزلة الروح للكواكب 69
* الملائكة واسطة بين الله وأنبيائه لإفاضة أنوار الوحي 71
* كل ذرّة من الأجسام يطلق عليها اسم الملائكة أيضاً..... 72
* وجود الملائكة يشكل نظاما سماويا يُثبت قدرة الله تعالى 73
* الخواص من الملائكة ليسوا أعلى مقاماً من خواصّ البشر 73
* من خلال الملائكة سخّر الله للبشر كلّ ما في السماوات والأرض يقول جل شأنه:
﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ** ﴾ (إبراهيم 33). أي لقد سخّر الله تعالى الشمس والقمر لخدمتكم. فمثلا إذا كان ساعي البريد، يوصل رسائل المِلك إلى إقليم أو حاكم، فهل يثبت من ذلك أنّ ساعي البريد الذي كان واسطةً بين الملك والحاكم العام أفضل من الحاكم نفسه؟ فاعلموا أنّ هذا هو حال الوسائط الذين يبلّغون مشيئة الله إلى الأرض ويعكفون على تنفيذها. لقد قال الله تعالى بكل صراحة في عدة مواضع من القرآن الكريم بأنّ كلّ ما خُلق في السماء من الأشياء فإنها قد خُلقت لفائدة الإنسان فقط. والإنسان أعلى وأرفع مرتبة من كل شيء، فقد سَخَّر كلّ شيء لخدمته كما يقول تعالى:..... 74
* أمر الله الملائكة بالسجود للإنسان الكامل، ومعنى السجود 76
* الإنسان يجلّي في شخصه كافة شؤون العالَم الكبير وصفاته وخواصه..... 77

* الإنسان أفضل من جميع المخلوقات والملائكة تنال العزّة بخدمته.....80
* تأثيرات الملائكة ومهامّا ودور جبريل عليه السلام.....81
* أثر الملائكة النوراني في الجنين في الرحم وبعد التكوين 82
* انعكاس جبريل على مرايا القلوب على قدر سعتها ونقائها 83
* حين يتحرّك الله إراديّاً يصير التحرّك شرطاً لجميع المخلوقات.....84
* مثَل علاقة المخلوقات بالله.....85
* العالم بمثابة الجسم والأعضاء والجوارح لله تعالى.....85
* لا تظهر مشيئةٌ له على الأرض دون هذه الوسائط قط.....87
* صورة جبريل ترتسم على قلب المحب 89
* مهمات جبريل الثلاث 90
* يقع تأثير جبريل على جميع بني آدم.....92
* نور روح القدس لا تُفارق الممتلئين بحبّ الله 93
* "نعم القرين" و "بئس القرين" 94
* نعم القرين لا يُفارق الصالحين والمقرّبين 95
* الملائكة تحفظ كلّ نفس، وجبريل هو ملاك الرقابة الداخلية 97
* روح القدس قرين إلى الأبد يدعو إلى الحسنات.....100
* قوانا وملكاتنا تستفيد من وسائط أخرى تظهر بواسطتها 101
* الملائكة لا ينزلون من السماء إلى الأرض بهويتهم الحقيقية.....105

* الملائكة ينزلون بوجودهم الظلّي ولهم القدرة على التّمثّل 107
* ثلاث فئات من البشر 108
* روح القدس هو النور والحياة 108
* يُعطَى الإنسانُ روحاً طاهرة وحياة جديدة بواسطة روح القدس 110
* جبريل يكون في السماء عند نزول الوحي 111
* روح القدس لم يهجر سيّدَنا ومولانا محمّداً ولا لحظة واحدة..... 113
* الأنبياء يشاهدون وجود جبريل التمثيلي وليس الأصلي..... 113
* معنى التّأييد بروح القدس 114
* تعطيل الشياطين عن أعمالهم المخصصة يخالف سنن الله الطبيعية..... 115
* جميع أفكار وخواطر النبيّ تكون وحيًا 116
* وحي الله المتلو يحظى بحماية كاملة من الملائكة ولا يقربه الشيطان 117
* الذين يزكّون أنفسهم يتحررون من ربقة الشيطان وهم يَغلِبون . . ومن سلك مسالك
الرحمانية ابتعد عنه الشيطان تلقائياً 118
* على كل نفس من نفوس المخلوقات ملاكاً موكلاً يراقبها ويبقى معها 119
* الدّاعي إلى الخير والدّاعي إلى الشّر 121
* الدوافع إلى السيئة تجعل الإنسان مستحقّا الثواب 123
* الله ليس بحاجة إلى الملائكة، ولولا توسط الأسباب لما وُجد في الدنيا عِلْم 124

* كل ذرّة تعمل بحسب مشيئة الله تعالى ولا تؤثّر فينا إلّا بإذنه، وهي نوع من الملائكة ومسخّرة لنا 125

*الملائكة وسائط لتربية الإنسان ماديّا وروحانيا، وهي مسيّرة في يد الله ولا تملك إرادة ولا تصرّفا من نفسها 126

* الملائكة يَحفظون البشر من الآفات المادية ولولا حفظها لما استطاع الإنسان أن يعيش لحظة واحدة 128

* كيف ترجُم الشهبُ الشياطينَ 130

* الأسباب التي وراء الأسباب 132

* كيف تهرب الشياطين بتساقط الشهب 133

* إنّ تضرر الجِنّة برمي الشهب ليس سببه النار المادية، بل النور الملائكي 134

* الملائكة لا يعملون شيئًا إلّا لأغراض ومقاصد معيّنة 135

* الملائكة تحرق الشياطين بنورها وليس بنار الشهب 136

* لا يستقيم ملكوت الله إلّا إذا تَبِعَتْه كلّ ذرة من ذرات العالم 138

* نحتاج إلى مساعدات خارجية لتكميل كافة حواسنا وقوانا وقدراتنا لقد ناقشنا إلى حدّ ما وجود الملائكة وخدماتهم في ذلك الكتاب، وتفصيل ذلك أنّ السبيل الأسهل والأقرب للاعتراف بوجود الملائكة هو أن نوجّه عقولنا إلى أنه من المحتوم والمحسوم أنّ الله تعالى قد وضع—من أجل تربية أجسامنا وتكميلها المادي وقيام حواسنا المادية بالأفعال المطلوبة كما ينبغي—قانونًا في الطبيعة بأنْ سَخّر شتى العناصر والشمس والقمر والنجوم كلها في خدمة إعانة أجسامنا وقوانا لتصدر منها جُلّ أعمالها بوجه أحسن. ولا نستطيع أن نهرب من قبول حقيقة أنّ أعيننا، على سبيل المثال، لا تستطيع أن تُنجز أيّ شيء بنورها الذاتي ما لم يحالفها

ضوء الشمس، ولا يمكن لآذاننا أن تسمع شيئا بقوتها الذاتية ما لم يُعنها الهواء المحمّل بالصوت. أفلا يثبت من ذلك أنّ قانون الله تعالى قد جعل اكتمال قوانا متوقفا على الأسباب الخارجية، وأنه لا يسع فطرتنا أن تستغني عن مساعدة تلك الأسباب الخارجية؟ ولو تأملتم في الموضوع لوجدتم أننا نحتاج إلى مساعدات خارجية لتكميل كافة حواسنا وجميع قوانا وجُلّ قدراتنا وليس لتكميل حاسة أو حاستين أو قوة أو قوتين. 139

* قانون النظام الباطني في مقابل النظام الظاهري..... 140

* يوم القيامة تنتقل الملائكة إلى الأرجاء تاركة جميع العلاقات وتخرج من السماء والأجرام

خروج الروح من الجسد 143

* الملائكة بمنزلة الروح للنجوم والقوى السماوية وهي تُسيّر الشهب بنورها 144

* إذا انتقل الملائكة إلى "الأرجاء" أصاب الموتُ جميعَ الأجرام..... 145

* الله يستخدم كلّ شيء لعَمَلٍ أُعطِي ذلك الشيء قوى مناسبة لإنجازه 146

* هناك في الخفاء أشياء أخرى أُعطِيتْ عقلا لوضع الشيء في محله، وهي الملائكة بعينها

..... 148

* الإنسان عالَم صغير ويحتوي على كافة شؤون العالم الكبير وصفاته وخواصه وكيفياته 151

* لماذا لا نرى الملائكة ولا نشعر بعونهم 153

* لا تخلو مخططاتنا وتدابيرنا من تدخّل الملائكة وإلقائهم وإلهامهم..... 156

* لم يُرد الله تعالى في هذا العالم أن تصبح جميع أسرار العالم بديهة للناس، لأنّه لو كان كذلك لما

تَرتّب ثواب..... 157

* الله تعالى لا يعمل شيئًا بغير الوسائط 161

* لو أُثبت وجود الملائكة كأنهم أُحضِروا أمام الأعين لما بقي الإيمان إيمانا 162

* خطأ قياس الملائكة بالناس 164
* الملائكة يشابِهون بصفاتهم صفات الله تعالى 164
* الملائكة يتمثّلون في تمثّلات كثيرة 166
* الملائكة يقولون للشيء كن فيكون، وفِعلهم فِعلُ الله من غير تفاوت 166
* الملائكة أعظم جسماً من كل ما في السماوات والأرض 168
* الملائكة لا يُفارقون ما يحفظونه طرفة عين 171
* يجب عدم قياس واقعات هذا العالم بحقائق العالم الآخر 174
* الملائكة جُند الله الذين لا يتخلّفون عنه 176
* أمرُ نزول الملائكة أمرٌ متعالٍ عن طَور العقل وضرب الأمثال 178
* الملائكة توحي إلى الناس بقبول الحق وتُعطيهم قوّة لذلك 179
عود على بدء 185
في بيان المسيح الموعود عليه السلام 190
* معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ 194
كتب للمؤلّف باللغة العربية 199
كتب للمؤلّف باللغة الإنكليزية 200
ترجمات للمؤلّف 201